

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

خرَّجَ أحاديثه وعلق عليه

محمد بيومي

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

نبــذة
عن حياة الشيخ ابن عثيمين

اسمه ونسبه :

محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبى التميمى .

مولده :

ولد فى مدينة عنيزة ، إحدى مدن القصيم فى ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ .

نشأته وطلبه للعلم :

كان الشيخ قد رزق ذكاء ، وهمة عالية وحرصاً على التحصيل العلمى ، وقد بدأ الشيخ بقراءة القرآن الكريم على جده لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ ، محفظة ، ثم اتجه إلى طلب العلم على أيدى كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - والذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

ثم قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يعتبر شيخه الثانى ، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

وقد التحق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالمعهد العلمى فى الرياض ، بعد عام ١٣٧٢ هـ ، وبعد خروجه عُيِّن مدرساً فى معهد عنيزة العلمى مع مواصلة الدراسة انتساباً فى كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدى - رحمه الله .

ولما توفى الشيخ السعدى تولى الشيخ ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، بالإضافة إلى التدريس فى المعهد العلمى ثم انتقل إلى التدريس فى كليتى الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، وما زال بها حتى توفاه الله ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

نشاطه فى الدعوة إلى الله :

كان للشيخ - رحمه الله - نشاط كبير فى الدعوة إلى الله ﷻ وتبصير المسلمين ، فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة فى المسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفى دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف فى شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى موسم الحج ، وفى الصحف والمجلات ، وفى برنامج : "نور على الدرب" بالإذاعة السعودية . وقد حصل الشيخ - رحمه الله - على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

مؤلفاته :

للشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة فى شتى أنواع علوم الدين ، منها على سبيل المثال: ٦٠ سؤالاً عن أحكام الحيض ، فى الصلاة والصيام والحج والاعتمار . وأثر المعاصى على الفرد والمجتمع . وأصول فى التفسير . والأصول فى علم الأصول . والخلاف بين العلماء: أسبابه وموقفنا منه . والدماء الطبيعية للنساء . والشرح الممتع على زاد المستنقع . والصحوة الإسلامية : ضوابط وتوجيهات . والعلم . والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى ، والقول المفيد على كتاب التوحيد ، وشرح العقيدة الواسطية ، وشرح أصول الإيمان ، وتفسير آية الكرسى ، وتقريب التدمرية ، وشرح كشف الشبهات . وتسهيل الفرائض . وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .

ورسائل فى العقيدة . ورسالة إلى الدعاة . وشرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد . ومصطلح الحديث ، وشرح المنظومة البيقونية فى علم مصطلح الحديث . وعقيدة أهل السنة والجماعة . وفتح رب البرية بتخليص الحموية "وهو أول كتاب طبع لسماحته" .

أولاده :

عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم ، والشيخ رحمه الله تزوج زوجة واحدة .

مرضه ووفاته :

توفى الشيخ - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير ، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ ك ، وصارت درجة المناعة عنده صفراً ، وقد أصر الشيخ - رحمه الله - على إلقاء دروسه المعتادة فى الحرم المكى هذا العام بالرغم من معاناته الشديدة للمرض .

فنسأل الله ﷻ أن يتغمده برحمته ، وأن يعلى قدره ومنزلته ، ويحشره مع الصالحين والشهداء .

* * * * * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة في العقيدة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فإن (**علم التوحيد**) أشرف العلوم ، وأجلها قدراً ، وأوجبها مطلباً ، لأنه **العلم بالله تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، وحقوقه على عباده** .

ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى ، وأساس شرائعه .

ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥] .

وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية ، وشهد بها له ملائكته ، وأهل العلم ، قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٨] .

ولما كان هذا شأن التوحيد ، كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً ، وتعليماً ، وتدبراً ، واعتقاداً ، ليبني دينه على أساس سليم ، واطمئنان ، وتسليم يسعد بثمراته ، ونتائجه .

الدين الإسلامي

الدين الإسلامي: (هو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ ختم الله به الأديان وأكمله لعباده ، وأتم به عليهم النعمة ، ورضيه لهم ديناً ، فلا يقبل من أحد ديناً سواه ، قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠] .

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

وقد فرض الله تعالى على جميع الناس أن يدينوا لله تعالى به فقال مخاطباً رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٥٨].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"**.

والإيمان به: (تصديق ما جاء به مع القبول ، والإذعان ، لا مجرد التصديق).

ولهذا لم يكن أبو طالب مؤمناً بالرسول ﷺ مع تصديقه لما جاء به ، وشهادته بأنه من خير الأديان.

والدين الإسلامي: متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة ، متميز عليها بكونه صالحاً لكل زمان ، ومكان وأمة ، قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٤٨].

ومعنى كونه صالحاً لكل زمان ، ومكان ، وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ، أو مكان ، بل هو صلاحها ، وليس معنى ذلك أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة كما يريده بعض الناس.

والدين الإسلامي: هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لمن تمسك به حق التمسك أن ينصره ، ويظهره على من سواه ، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية: ٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة النور ، الآية: ٥٥] .

والدين الإسلامي: عقيدة ، وشريعة ، فهو كامل في عقيدته ، وشرائعه:

١- يأمر بتوحيد الله تعالى ، وينهى عن الشرك .

٢- يأمر بالصدق ، وينهى عن الكذب .

٣- يأمر بالعدل [1] ، وينهى عن الجور .

٤- يأمر بالأمانة ، وينهى عن الخيانة .

٥- يأمر بالوفاء ، وينهى عن الغدر .

٦- يأمر ببر الوالدين ، وينهى عن العقوق .

٧- يأمر بصلة الأرحام وهم الأقارب ، وينهى عن القطيعة .

٨- يأمر بحسن الجوار ، وينهى عن سيئه .

وعموم القول أن (**الإسلام**) يأمر بكل خلق فاضل ، وينهى عن كل خلق سافل .

ويأمر بكل عمل صالح ، وينهى عن كل عمل سيئ .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية: ٩٠] .

---

(١) العدل: هو المساواة بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات ، وليس العدل المساواة المطلقة كما ينطق به بعض الناس حين يقول: دين الإسلام دين المساواة ويُطلق ، فإن المساواة بين المختلفات جور لا يأتي به الإسلام ولا يحمد فاعله .

أركان الإسلام

أركان الإسلام: أسسه التي ينبني عليها ، وهي - خمسة - مذكورة فيما رواه - ابن عمر رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: "**بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله (وفي رواية على خمس): شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج**" . فقال رجل: الحج ، وصيام رمضان ، قال: لا ، صيام رمضان ، والحج . هكذا سمعته من رسول الله ﷺ . متفق عليه . واللفظ لمسلم .

١- **أما شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله فهي:** الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان بهذه الشهادة ، كأنه بجزمه في ذلك مشاهد له ، وإنما جعلت هذه الشهادة ركناً واحداً مع تعدد المشهود به:

إما لأن الرسول ﷺ مبلغ عن اللع تعالى ، فالشهادة له بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله وإما لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها ، إذ لا صحة لعمل ، ولا قبول ، إلا بالإخلاص لله تعالى ، والمتابعة لرسوله ﷺ ، فبالإخلاص تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله ، وبالمتابعة لرسول الله تتحقق شهادة أن محمداً عبده ورسوله .

ومن ثمرات الشهادة العظيمة: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين ، والاتباع لغير المرسلين .

٢- **وأما إقام الصلاة:** فهو التعبد لله تعالى بفعلها على وجه الاستقامة والتمام في أوقاتها وهيئاتها .

ومن ثمراته: انشراح الصدر ، وقرة العين ، والانزجار عن الفحشاء والمنكر .

٣- **وأما إيتاء الزكاة:** فهو التعبد لله تعالى ببذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة .

ومن ثمراته: تطهير النفس من الخلق الرذيل (البخل) ، وسد حاجة الإسلام والمسلمين .

٤- **وأما صوم رمضان:** فهو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان .

ومن ثمراته: ترويض النفس عن ترك المحبوبات طلباً لمرضاة الله عز وجل .

٥- **وأما حج البيت:** فهو التعبد لله تعالى بقصد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج .

ومن ثمراته: ترويض النفس على بذل المجهود المالي والبدني في طاعة الله تعالى ، ولهذا كان الحج نوعاً من الجهاد في سبيل الله تعالى .

وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية نقية ، تدين لله دين الحق ، وتعامل الخلق بالعدل والصدق ، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس ، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها ، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها .

ومن أراد استبانة ذلك فليقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٩٦ - ٩٩]. ولينظر في تاريخ من سبق ، فإن في التاريخ عبرة لأولي الألباب ، وبصيرة لمن لم يحل دون قلبه حجاب . والله المستعان .

أسس العقيدة الإسلامية

الدين الإسلامي - كما سبق - عقيدة وشريعة ، وقد أشرنا إلى شيء من شرائعه وذكرنا أركانه التي تعتبر أساساً لشرائعه .

- **أما "العقيدة الإسلامية"** فأسسها الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

وقد دل على هذه الأسس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ففي كتاب الله تعالى يقول الله: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ١٧٧] .

ويقول في القدر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [سورة القمر ، الآيتان: ٤٩ - ٥٠] .

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: "**الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**" . رواه مسلم .

الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس .

١- **أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ "**ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**" . رواه البخاري .

٢- **وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:** فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة .

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه ، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة ، لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور ، حيث قال : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ** ﴾ [سورة الطور ، الآية : ٣٥] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم ، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى ، ولهذا لما سمع - جبير بن مطعم - رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ** ﴾ [سورة الطور ، الآيات : ٣٥ - ٣٧] وكان - جبير - يؤمئذ مشركاً قال : (كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه - البخاري - مفرقاً .

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك ، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد ، أحاطت به الحدائق ، وجرت بينها الأنهار ، وملىء بالفرش والأسرة ، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته ، وقال لك : إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه ، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد ، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه ، وعددت حديثه سفهاً من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه ، وسمائه ، وأفلاكه ، وأحواله ، ونظامه البديع الباهر ، قد أوجد نفسه ، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣- **وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:** فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وماجاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من

رب حكيم عليم بمصالح خلقه ، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به .

٤- **وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين: أحدهما:** أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٧٦] وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية: ٩] وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه: **"أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب ، فقال: "يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا" فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: "يا رسول الله تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا " فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا " فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت"** .

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة .

الوجه الثاني: أن (آيات الأنبياء) التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى ، تأييداً لرسله ونصراً لهم .

مثال ذلك آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً ، والماء بينها كالجبال ، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾ [سورة الشعراء ، الآية: ٦٣] .

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذاً

الله ، قال الله تعالى عنه : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٤٩] ، وقال : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ١١٠] .

ومثال ثالث لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية ، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس[1] ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [سورة القمر ، الآيتان : ١ - ٢] .

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ، ونصراً لهم ، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى .

الثاني : الإيمان بربوبيته :

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين .

والرب: من له الخلق ، والملك ، والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ، ولا أمر إلا له ، قال تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٥٤] وقال: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [سورة فاطر ، الآية: ١٣] .

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه ، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول ، كما حصل من - فرعون - حين قال لقومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات ، الآية: ٢٤] **وقال:** ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص ، الآية: ٣٨] لكن ذلك ليس عن عقيدة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل ، الآية: ١٤] وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ١٠٢] .

---

(١) معجزة انشقاق القمر للنبى ﷺ ثابته فى البخارى ومسلم فى أكثر من رواية . قال الخطابى: وهى آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الأنبياء ، وذلك أنه ظهر فى ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس بما يطمع فى الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهان به أظهر "فتح البارى" (٢٢٤/٧) .

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى ، مع إشراكهم به في الألوهية ، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتان: ٨٤ - ٨٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية: ٩] وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية: ٨٧].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته ، فهو كذلك الحاكم فيه يشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات ، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و "الإله" بمعنى "المألوه" أي "المعبود" حباً وتعظيماً ، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ١٨]. وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة الحج ، الآية: ٦٢] وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[1]

---

(١) وقال عن هود أنه قال لقومه: {أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان} [الأعراف: ٧١].

[سورة النجم ، الآية: ٢٣] وقال عن هود: إنه قال لقومه: ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٧١]. وقال عن يوسف إنه قال لصاحبي السجن ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ [سورة يوسف ، الآيتان: ٣٩ - ٤٠] ولهذا كانت الرسل عليهم والصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ ولكن أبى ذلك المشركون ، واتخذوا من دون الله آلهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى ، ويستنصرون بهم ويستغيثون .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تجلب نفعاً لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضرراً ، ولا تملك لهم حياة ، ولا موتاً ، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه .

قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية: ٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سورة سبأ ، الآيتان: ٢٢ - ٢٣]. وقال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآيتان: ١٩١ - ١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه وأبطل الباطل .

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية

كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢١ - ٢٢].

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية: ٨٧].

وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [سورة يونس ، الآيتان: ٣١ - ٣٢].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته (١):

أي (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل) قال الله تعالى: ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٨٠] ، وقال: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء ، والصفات ، أو بعضها ، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه ، أي تشبيه الله تعالى بخلقه ، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه ، وذلك أن الله

---

(١) وللشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - كتاب رائع في هذا الباب بعنوان "القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، وقد قمت بالتعليق عليه وتخريج أحاديثه.

تعالى أثبت لنفسه الأسماء ، والصفات ، ونفى أن يكون كمثله شيء ، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضه بعضاً .

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين ، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهماً إنسان سميع ، بصير ، متكلم ، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل ، وأعين ، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها ، وأعينها متماثلة .

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء ، أو صفات ، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم .

الطائفة الثانية : (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص ، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل ، والشرع ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً .

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته ، وصفاته .

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى **(وهو إدراك الأصوات)** لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق ، أبين وأعظم .

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه ، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي

مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور ، فإذا تباينت في حق المخلوق ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم .

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها :

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ، ولا خوف ، ولا يعبد غيره .

الثانية: كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .

الإيمان بالملائكة

الملائكة: (عالم غيبي مخلوقون ، عابدون لله تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأمره ، والقوة على تنفيذه) .

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** ﴾ [سورة الأنبياء ، الآيتان: ١٩ - ٢٠] .

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم[١] .

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم .

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) [٢] ومن لم نعلم اسمه

---

(١) ومن الأدلة أيضاً على كثرة أعداد الملائكة قول النبي ﷺ : ((يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) رواه مسلم . وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ فى أصحابه إذ قال: ((تسمعون ما أسمع؟)) قالوا: ما نسمع من شئ ، قال: ((إنى لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم)) رواه الطبرانى بسند صحيح .

(٢) ومن الأسماء التى أعلمنا الله إياها أيضاً: ميكائيل: وهو الموكل بالمطر ، وإسرافيل: وهو الموكل بالنفخ فى الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق ، ومالك: وهو خازن النار ، ومنكر ونكير: وهما الموكلان بسؤال=

نؤمن بهم إجمالاً .

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم ، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق[١] .

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل ، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى - مريم - فتمثل لها بشراً سوياً ، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه أحد من الصحابة ، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ، والساعة ، وأماراتها ، فأجابه النبي ﷺ فأنطلق . ثم قال ﷺ "**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**" . رواه مسلم .

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ، ولوط كانوا في صورة رجال .

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى ، كتسبيحه ، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور .

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة .

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل .

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات .

ومثل إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق .

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت .

=الإنسان في القبر ، وهاروت وماروت: وهما الملكان الذى أنزلهما الله من السماء إلى الأرض لتعليم الناس السحر اختبارا لعباده وامتحاناً لهم ، وأما اسم عزرائيل فإنه لم يرد فى الكتاب أو السنة .

(١) رواه أحمد (١/٣٩٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه بسند صحيح .

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار .

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة اشهر في بطن أمه ، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص ، وهما ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال .

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ، ودينه ، ونبيه .

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى ، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق .

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى .

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً ، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات ، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [سورة فاطر ، الآية: ١] .

وقال: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** ﴾ [سورة الأنفال ، الآية: ٥٠] .

وقال: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية: ٩٣] .

وقال: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة سبأ ، الآية: ٢٣].

وقال في أهل الجنة: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد ، الآيتان: ٢٣ - ٢٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض** .

وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي ﷺ: "**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف ، وجاؤوا يستمعون الذكر**) .

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية ، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون .

الإيمان بالكتب

الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب) .

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة .

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً .

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ ، (والتوراة) التي أنزلت على موسى ﷺ (والإنجيل) الذي أنزل على عيسى ﷺ ، (والزبور) الذي أوتيه داود ﷺ وأما مالم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً .

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن ، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة .

الرابع: العمل بأحكام مالم ينسخ منها: والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٤٨] أي (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن .

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به .

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم . كما قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٤٨] .

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك .

الإيمان بالرسل

الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء .

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه .

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [سورة النساء ، الآية: ١٦٣] .

وفي صحيح البخاري عن - أنس بن مالك - رضي الله عنه في (حديث الشفاعة أن النبي ﷺ **(ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله وذكر تمام الحديث)** .

وقال الله في محمد ﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية: ٤٠].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه .

أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل ، الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر ، الآية: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٤٤].

- **والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ،** قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [سورة الجن ، الآيتان: ٢١ - ٢٢].

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض ، والموت ، والحاجة إلى الطعام والشراب ، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [سورة الشعراء ، الآيات: ٧٩ - ٨١].

وقال النبي ﷺ: "**إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني**"(١).

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم ، وفي سياق الثناء عليهم

---

(١) رواه البخاري في "الصلاة" (٤٠١) باب التوجه نحو القبلة حيث كان ، ومسلم في "الصلاة" (١٢٥١) باب السهو في الصلاة وأبو داود في "الصلاة (١٠٢٠) باب إذا صلى خمساً . والنسائي في "الصلاة" (٢٨١٣) وابن ماجة في "الصلاة" (١٢١١) باب ما جاء فيمن شك في صلاته فتحرى الصواب .

فقال تعالى في نوح ﷺ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٣] . وقال في محمد ﷺ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ١] .

وقال في إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب صلى الله عليهم وسلم : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [سورة ص ، الآيات : ٤٥ - ٤٧] .

وقال في عيسى بن مريم ﷺ : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٥٩] .

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء ، الآية: ١٠٥] فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل ، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً ، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح (عليهم الصلاة والسلام) وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن: في (سورة الأحزاب) في قوله:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٧] وفي (سورة الشورى) في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [سورة الشورى ، الآية: ١٣] .

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ٩٤ - ٩٥] فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [سورة إبراهيم، الآيتان: ١٠ - ١١].

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء .

وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين ، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٤] .

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيتان: ١٥ - ١٦] .

وقال النبي ﷺ: "**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**" . متفق عليه .

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية: ١١٥] وقال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [سورة القصص ، الآية: ٨٥] .

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله ، ويجازي عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [سورة الغاشية ، الآيتان: ٢٥ - ٢٦] وقال: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ

﴿ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية: ١٦٠] وقال: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٤٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ - قال: "**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه** [١] **ويستره ، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق** ﴿ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ متفق عليه .

وصح عن النبي ﷺ: "**أن من هم بحسنة فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأن من هم بسيئة فعملها ، كتبها الله سيئة واحدة**"[٢] .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاؤوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم ، وذرياتهم ، ونساءهم ، وأموالهم . فلو لم يكن حساب ، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [سورة هود ، الآية: ١٨] .

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق . فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به ، وقاموا

---

(١) كنفه: ستره .
(٢) رواه البخارى فى "الرقاق" (٦٤٩١) باب من هم بحسنة أو سيئة . ومسلم فى "الإيمان" (٣٢١) باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

بطاعة الله ورسوله ، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم "**مالا عين رأت ، ولا إذاً سمعت ، ولا خطر على قلب بشر**" . **قال الله تعالى:** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [سورة البينة ، الآيتان: ٧ - ٨] وقال تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة ، الآية: ١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين ، الذين كفروا به وعصوا رسله ، فيها من أنواع العذاب ، والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ١٣١] **وقال:** ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [سورة الكهف ، الآية: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآيات: ٦٤ - ٦٦].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ) **فتنة القبر:** وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول: ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ . ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب[1]: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

(ب) **عذاب القبر ونعيمه:** فيكون عذاب القبر للظالمين من المنافقين والكافرين ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ

---

(١) أو للشك من الراوى كما فى الصحيحين .

عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٩٣] .

وقال تعالى في - آل فرعون - : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر ، الآية : ٤٦] .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: "**فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار . قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار . فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر . قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال**" .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [سورة الواقعة ، الآيات: ٨٣ - ٨٩] إلى آخر السورة .

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: "**ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره**" رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل[1] .

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وأبو داود في "السنة" (٤٧٥٣) باب في المسألة في عذاب القبر . والحاكم (٣٧/١ - ٤٠) والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" ٢٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم .

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم .

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن .

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع ، والحس ، والعقل .

أما من الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن ، الآية: ٧] وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه .

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة ، خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: **"لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم** وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآيتان: ٥٥ - ٥٦] .

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآيتان: ٧٢ - ٧٣] .

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢٤٣] .

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى ، فأماته الله تعالى مائة سنة ، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ (١) وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢٥٩].

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح - أربعة من الطير ، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ، ثم يناديهن ، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ، ويأتين إلى إبراهيم سعياً ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى . وقد سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات - عيسى بن مريم - في إحياء الموتى ، وإخراجهم من قبورهم بإذاً الله تعالى .

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم ، الآية: ٢٧] وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٤] وقال آمراً بالرد

---

(١) يتغير.

على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: الآية ٧٩]. **الثاني:** أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [سورة ق، الآيات: ٩ - ١١].

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا يضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) **مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.**

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما**" وذكر الحديث، وفيه "**أن أحدهما كان لا يستتر من البول**" **وفي - رواية - من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة.**

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه. والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى (وفاة) قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع ، وربما رأى النبي ﷺ على صفته ، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى ، فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا ، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق ، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع: بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس: ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب ، ولتساوى المؤمنون بالغيب ، والجاحدون في التصديق بها .

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره: وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه ، ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي ، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه ، والصحابة لا يرون الملك ، ولا يسمعونه .

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود ، فالسموات السبع ، والأرض ، ومن فيهن ، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً . ومع ذلك هو محجوب عنا ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ٤٤] وهكذا الشياطين ، والجن ، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً ، وقد حضرت

الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين . ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٢٧] وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه .

الإيمان بالقدر

(القدر) بفتح الدال: (تقدير الله تعالى للكائنات ، حسبما سبق به علمه ، واقتضته حكمته) .

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً: أزلاً وأبداً ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ: وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة الحج ، الآية: ٧٠] .

وفي صحيح مسلم - عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**" .

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى: سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ ﴾ [سورة القصص ، الآية: ٦٨] وقال: ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية: ٢٧] وقال: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿ وَلَوْ شَاء اللَّهُ

لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٩٠] وقال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٣٧] .

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٦٢] وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢] وقال عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية : ٩٦] .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها ، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له .

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [سورة النبأ ، الآية : ٣٩] وقال : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣] وقال في القدرة : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [سورة التغابن ، الآية : ١٦] وقال : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦] .

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك ، ويفرق بين ما يقع بإرادته ، كالمشي ، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش ، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة التكوير ، الآيتان : ٢٨ - ٢٩] ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته .

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي ، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه : **الأول:** قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ

﴿ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية: ١٤٨] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه .

الثاني: قوله تعالى: **﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾** [سورة النساء ، الآية: ١٦٥] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرسل ، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى .

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن طالب رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: "**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا ، اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾** [سورة الليل ، الآية: ٥] الآية . وفي لفظ لمسلم: "**فكل ميسر لما خلق له**" ، فأمر النبيﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر .

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ، قال الله تعالى: **﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾** [سورة التغابن ، الآية: ١٦] وقال: **﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾** [سورة البقرة ، الآية: ٢٨٦] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو نسيان ، أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور .

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله ، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر ، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى ، وقتل ، ونهب ، وانتهاك للأعراض وخوف ، وجوع ، والثاني

ينتهي به إلى بلد كلها نظام ، وأمن مستتب ، وعيش رغيد ، واحترام للنفوس والأعراض والأموال ، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن ، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى ، والخوف ، ويحتج بالقدر ، **فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟**

مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه ، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه ، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة ، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك **الإنسان ما أمر الله ورسوله به أو يفعل ما نهى الله ورسوله عنه ثم يحتج بالقدر؟**

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي ، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر ، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله ، لم يقبل حجته . **فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!**

ويذكر أن - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع ، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما سرقت بقدر الله فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله .

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى .

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير ، والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة: الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق

بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة الحديد ، الآيتان ٢٢ - ٢٣]. ويقول النبي ﷺ : "**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**" . رواه مسلم .

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: (الجبرية) الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة .

الثانية: (القدرية) الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة ، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر .

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ، ومشيئة ، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ وقال: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ **الآية . وقال:** ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل ، والشرب ، والبيع ، والشراء ، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى ، والسقوط من السطح ، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر ، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه .

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء ، وكل شيء كائن بمشيئته ، وقد بين

الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

أهداف العقيدة الإسلامية

الهدف (لغة) يطلق على معان منها: (الغرض ينصب ليرمى إليه وكل شيء مقصود).

وأهداف العقيدة الإسلامية: مقاصدها، وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهي كثيرة متنوعة فمنها:

أولاً: إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده، لأنه الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشيء عن خلو القلب من هذه العقيدة، لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً: الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعاً: سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين، لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً: الحزم والجد في الأمور: بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب ، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب ، لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية: ١٣٢]. وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**" رواه مسلم .

سادساً: تكوين أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها ، وتوطيد دعائمه ، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك ، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [سورة الحجرات ، الآية: ١٥].

سابعاً: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ، ونيل الثواب والمكرمات ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة النحل ، الآية: ٩٧].

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية نرجو الله تعالى أن يحققها لنا ولجميع المسلمين . إنه جواد كريم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح رب البرية بتلخيص الحموية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن الله تعالى: بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، وحجة على العباد أجمعين ، فأدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وبين للناس جميع ما يحتاجون إليه في أصول دينهم وفروعه ، فلم يدع خيراً إلا بينه وحث عليه ، ولم يترك شراً إلا حذر الأمة عنه ، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، فسار عليها أصحابه نيرة مضيئة ، وتلقاها عنهم كذلك القرون المفضلة ، حتى تجهم الجو بظلمات البدع المتنوعة التي كاد بها مبتدعوها الإسلام وأهله ، وصاروا يتخبطون فيها خبط عشواء ، ويبنون معتقداتهم على نسج العنكبوت وأوهن . والرب تعالى: يحمي دينه بأوليائه الذين وهبهم من الإيمان ، والعلم ، والحكمة ما به يصدون هؤلاء الأعداء ، ويردون كيدهم في نحورهم فما قام أحد ببدعة إلا قيض الله وله الحمد من أهل السنة من يدحض بدعته ، ويبطلها .

وكان في مقدمة القائمين على هؤلاء المبتدعة: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، ثم الدمشقي المولود في حران يوم الاثنين الموافق ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية والمتوفى محبوساً ظلماً في قلعة دمشق في ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية .

وله المؤلفات الكثيرة في بيان السنة ، وتوطيد أركانها ، وهدم البدع ومما ألفه في

هذا الباب رسالة " **الفتوى الحموية**" التي كتبها جواباً لسؤال ورد عليه في سنة ٦٩٨ هجرية من " **حماة**" بلد في الشام يسأل فيه عما يقوله الفقهاء وأئمة الدين في آيات الصفات وأحاديثها؟ فأجاب بجواب يقع في حوالي ٨٣ صفحة وحصل له بذلك محنة ، وبلاء فجزاه الله تعالى: عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

ولما كان فهم هذا الجواب والإحاطة به مما يشق على كثير من قرائه أحببت أن ألخص المهم منه مع زيادات تدعو الحاجة إليها وسميته " **فتح رب البرية بتلخيص الحموية** " .

وقد طبعته لأول مرة في سنة ١٣٨٠ هجرية ، وها أنا أعيد طبعه للمرة الثانية ، وربما غيرت ما رأيت من المصلحة تغييره من زيادة أو حذف .

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ونافعاً لعباده إنه جواد كريم .

الباب الأول
فيما يجب على العبد في دينه

الواجب على العبد في دينه هو اتباع ما قاله الله ، وقاله رسوله محمد ﷺ والخلفاء الراشدون المهديون من بعده من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وذلك أن الله بعث محمداً ﷺ بالبينات ، والهدى ، وأوجب على جميع الناس أن يؤمنوا به ، ويتبعوه ظاهراً وباطناً فقال تعالى: ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨] .

وقال النبي ﷺ : "**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** "(١) .

---

(١) صحيح . رواه أحمد (٤/١٢٦ ، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) وابن حبان (٥- إحسان) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٢٦ ، ٢٧) ، والطبرانى فى "الكبير" (٦١٨ ، ٦١٩ ،=

والخلفاء الراشدون هم الذين خلفوا النبي ﷺ في العلم النافع ، والعمل الصالح ، وأحق الناس بهذا الوصف هم الصحابة رضي الله عنهم ، فإن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، ولم يكن الله تعالى: ليختار وهو العليم الحكيم لصحبة نبيه إلا من هم أكمل الناس إيماناً وأرجحهم عقولاً ، وأقومهم عملاً ، وأمضاهم عزماً ، وأهداهم طريقاً ، فكانوا أحق الناس أن يتبعوا بعد نبيهم ﷺ ومن بعدهم أئمة الدين الذين عرفوا بالهدى والصلاح .

الباب الثاني
فيما تضمنته رسالة النبي ﷺ من بيان الحق
في أصول الدين وفروعه

رسالة النبي ﷺ تتضمن شيئين هما: العلم النافع ، والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة التوبة: الآية "٣٣"] .

فالهدى هو: العلم النافع . ودين الحق هو: العمل الصالح الذي اشتمل على الإخلاص لله ، والمتابعة لرسوله ﷺ.

والعلم النافع يتضمن كل علم يكون للأمة فيه خير وصلاح في معاشها ، ومعادها ، وأول ما يدخل في ذلك العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، فإن العلم بذلك أنفع العلوم . وهو زبدة الرسالة الإلهية ، وخلاصة الدعوة النبوية ، وبه قوام الدين قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً .

ومن أجل هذا كان من المستحيل أن يهمله النبي ﷺ ولا يبينه بياناً ظاهراً ينفي

=٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٤٢) والدارمى (١/٤٤) وأبو نعيم فى "الحيلة" (٥/٢٢٠ ، ٢٢١ ، ١٠/١١٤ ، ١١٥) ، وابن عبد البر فى "جامع بيان العلم وفضله" (٢/١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣) ، والبغوى فى "شرح السنة" (١٠٢) والحاكم (١/٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) والخطيب البغدادى فى "الفقيه والمتفقه" (١/١٧٦) وابن وضاح فى "البدع" (٥١ ، ٦٩) والبيهقى فى "السنن الكبرى" (١٠/١١٤) وفى "دلائل النبوة" (٦/٥٤١) عن العرباض بن سارية رضى الله عنه ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الترمذى: حسن صحيح .

الشك ويدفع الشبهة ، وبيان استحالته من وجوه :

الأول: أن رسالة النبي ﷺ كانت مشتملة على النور والهدى : فإن الله بعثه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، وأعظم النور وأبلغه ما يحصل للقلب بمعرفة الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فلابد أن يكون النبي ﷺ قد بينه غاية البيان .

الثاني: أن النبي ﷺ علم أمته جميع ما تحتاج إليه من أمور الدين ، والدنيا ، حتى آداب الأكل ، والشرب ، والجلوس ، والمنام وغير ذلك . قال أبو ذر رضي الله عنه : " **لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً**"(١) . ولا ريب أن العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، داخل تحت هذه الجملة العامة ، بل هو أول ما يدخل فيها لشدة الحاجة إليه .

الثالث: أن الإيمان بالله تعالى: ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، هو أساس الدين ، وخلاصة دعوة المرسلين ، وهو أوجب وأفضل ما اكتسبته القلوب وأدركته العقول ، فكيف يهمله النبي ﷺ من غير تعليم ولا بيان مع أنه كان يعلّم ما هو دونه في الأهمية والفضيلة ؟!

الرابع: أن النبي ﷺ كان أعلم الناس بربه وهو أنصحهم للخلق ، وأبلغهم في البيان والفصاحة ، فلا يمكن مع هذا المقتضي التام للبيان أن يترك باب الإيمان بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، ملتبساً مشتبهاً .

الخامس: أن الصحابة رضي الله عنهم لابد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب لأن ضد ذلك إما السكوت وإما القول بالباطل ، وكلاهما ممتنع عليهم:

أما امتناع السكوت فوجهه أن السكوت إما أن يكون عن جهل منهم بما يجب لله تعالى: من الأسماء والصفات وما يجوز عليه منها وما يمتنع ، وإما أن يكون عن علم

---

(١) صحيح . رواه أحمد (١٣٥/٥ ، ١٦٢) والطيالسي (٤٧٩) والبزار (١٤٧ - كشف الأستار) والطبراني فى الكبير (١٦٤٧) وابن حبان (٦٥ - إحسان) .

منهم بذلك ولكن كتموه ، وكل منهما ممتنع :

أما امتناع الجهل: فلأنه لا يمكن لأي قلب فيه حياة ، ووعي وطلب للعلم ، ونهمة في العبادة إلا أن يكون أكبر همه هو البحث في الإيمان بالله تعالى: ، ومعرفته بأسمائه وصفاته ، وتحقيق ذلك علماً واعتقاداً ، ولا ريب أن القرون المفضلة وأفضلهم الصحابة هم أبلغ الناس في حياة القلوب ، ومحبة الخير ، وتحقيق العلوم النافعة ، كما قال النبي ﷺ : " **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**"(١) . وهذه الخيرية تعم فضلهم في كل ما يقرب إلى الله من قول ، وعمل ، واعتقاد .

ثم لو فرضنا أنهم كانوا جاهلين بالحق في هذا الباب لكان جهل من بعدهم من باب أولى ، لأن معرفة ما يثبت لله تعالى: من الأسماء والصفات ، أو يُنفى عنه إنما تتلقى من طريق الرسالة ، وهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة ، وعلى هذا الفرض يلزم أن لا يكون عند أحد علم في هذا الباب وهذا ظاهر الامتناع .

وأما امتناع كتمان الحق: فلأن كل عاقل منصف عرف حال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على نشر العلم النافع ، وتبليغه الأمة فإنه لن يمكنه أن ينسب إليهم كتمان الحق ولا سيما في أوجب الأمور وهو معرفة الله وأسمائه وصفاته .

ثم إنه قد جاء عنهم من قول الحق في هذا الباب شيء كثير يعرفه من طلبه وتتبعه .

وأما امتناع القول بالباطل عليهم فمن وجهين:

أحدهما: أن القول بالباطل لا يمكن أن يقوم عليه دليل صحيح ، ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم أبعد الناس عن القول فيما لم يقم عليه دليل صحيح ، خصوصاً في أمر الإيمان بالله تعالى: ، وأمور الغيب فهم أولى الناس بامتثال قوله تعالى: **﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾** [سورة الإسراء: الآية ٣٦] . وقوله: **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ**

---

(١) رواه البخار في "فضائل الصحابة" (٣٦٥١) باب فضائل أصحاب النبي ﷺ .

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٣].

ثانيهما: أن القول الباطل إما أن يكون مصدره الجهل بالحق، وإما أن يكون مصدره إرادة ضلال الخلق وكلاهما ممتنع في حق الصحابة رضي الله عنهم.

أما امتناع الجهل فقد تقدم بيانه.

وأما امتناع إرادة ضلال الخلق: فلأن إرادة ضلال الخلق قصد سيئ لا يمكن أن يصدر من الصحابة الذين عرفوا بتمام النصح للأمة ومحبة الخير لها.

ثم لو جاز عليهم سوء القصد فيما قالوه في هذا الباب لجاز عليهم سوء القصد فيما يقولون في سائر أبواب العلم والدين، فتعدم الثقة بأقوالهم وأخبارهم في هذا الباب وغيره، وهذا من أبطل الأقوال، لأنه يستلزم القدح في الشريعة كلها.

وإذا تبين أن الصحابة رضي الله عنهم لابد أن يكونوا قائلين بالحق في هذا الباب فإنهم إما أن يكونوا قائلين ذلك بعقولهم، أو من طريق الوحي. والأول ممتنع، لأن العقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى: من صفات الكمال، فتعين الثاني وهو أن يكونوا تلقوا هذه العلوم من طريق رسالة النبي ﷺ فيلزم على هذا أن يكون النبي ﷺ قد بين الحق في أسماء الله وصفاته وهذا هو المطلوب.

الباب الثالث
في طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة: هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً، وباطناً في القول، والعمل، والاعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

أولاً: في الإثبات: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ثانياً: في النفي: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أوعلى لسان

رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى .

ثالثاً: فيما لم يَرِدْ نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم ، والحيز والجهة ونحو ذلك ، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك ، وأما معناه فيستفصلون عنه ، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه ، وإن أريد به حق لا يمتنعْ على الله قبلوه .

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة ، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل ، وأهل التمثيل .

وقد دل على وجوبها العقل ، والسمع :

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب ، ويجوز ، ويمتنع على الله تعالى: لا يدرك إلا بالسمع فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ، ونفي ما نفاه ، والسكوت عما سكت عنه .

وأما السمع : فمن أدلته قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨٠]. وقوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١]. وقوله: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦] .

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف ، ولا تعطيل لأنهما من الإلحاد .

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل .

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي التكييف ، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه .

وكل ما ثبت لله من الصفات فإنها صفات كمال ، يحمد عليها ، ويثنى بها عليه ، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه فجميع صفات الكمال ثابتة لله تعالى: على

أكمل وجه .

وكل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص ، تنافي كماله الواجب ، فجميع صفات النقص ممتنعة على الله تعالى: لوجوب كماله . وما نفاه الله عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية وإثبات كمال ضدها[1] ، وذلك أن النفي لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يحمد عليها ، فإن مجرد النفي قد يكون سببه العجز فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قبيله لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقد يكون سببه عدم القابلية فلا يقتضي مدحاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم .

إذا تبين هذا فنقول: مما نفى الله عن نفسه الظلم ، فالمراد به انتفاء الظلم عن الله مع ثبوت كمال ضده وهو العدل ، ونفي عن نفسه اللغوب وهو التعب والإعياء فالمراد نفي اللغوب مع ثبوت كمال ضده وهو القوة وهكذا بقية ما نفاه الله عن نفسه والله أعلم .

التحريف:

التحريف لغة: التغيير.

وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظاً ، أو معنى . والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير فهذه ثلاثة أقسام:

١- **تحريف** لفظي يتغير معه المعنى ، كتحريف بعضهم قوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٤] . إلى نصب الجلالة ليكون التكليم من موسى .

٢- وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنى ، كفتح الدال من قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ**

(١) فمثلاً إذا نفينا عن الله تعالى صفة الجهل لأنها صفة نقص فلا يكفى أن نثبت لله تعالى ضد الصفة المنفية وهى صفة العلم ، بل لابد من إثبات كمال ضد الصفة المنفية فنثبت لله تعالى كمال العلم وسيأتى فى كلام الشيخ - رحمه الله - توضيح هذا المعنى .

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: الآية ٢] وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل إذ ليس فيه غرض مقصود لفعله غالباً.

٣- تحريف معنوي وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

التعطيل:

التعطيل لغة: التفريغ والإخلاء.

وفي الاصطلاح هنا: إنكار ما يجب لله تعالى: من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه فهو **نوعان**:

١- تعطيل كلي، كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً.

٢- تعطيل جزئي، كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم.

التكييف:

التكييف: حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا **وكذا**.

التمثيل، والتشبيه:

التمثيل: إثبات مثيل للشيء.

والتشبيه: إثبات مشابه له.

فالتمثيل يقتضي المماثلة، وهي المساواة من كل وجه، والتشبيه يقضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات، وقد يطلق أحدهما على الآخر.

والفرق بينهما وبين التكييف من وجهين:

أحدهما: أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه،

وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه .

ومن هذا الوجه يكون التكييف أعم ، لأن كل ممثل مكيف ولا عكس .

ثانيهما: أن التكييف يختص بالصفات ، أما التمثيل فيكون في القدر ، والصفة ، والذات ، ومن هذا الوجه يكون أعم لتعلقه بالذات ، والصفات والقدر .

ثم التشبيه الذي ضل به من ضل من الناس على نوعين :

أحدهما: تشبيه المخلوق بالخالق .

والثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق .

فأما تشبيه المخلوق بالخالق فمعناه : إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الأفعال ، والحقوق ، والصفات .

فالأول: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقاً .

والثاني: كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها حقّاً في الألوهية فعبدوها مع الله .

والثالث: كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره مثل قول المتنبي يمدح **عبد الله بن يحيى البحتري**:

فكن كما شئت يا من لا شبيه له ... وكيف شئت فما خلق يدانيكا

وأما تشبيه الخالق بالمخلوق فمعناه: أن يثبت لله تعالى : في ذاته ، أو صفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من ذلك ، كقول القائل : إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين ، واستواءه على عرشه كاستوائهم ونحو ذلك .

وقد قيل: إن أول من عرف بهذا النوع هشام بن الحكم الرافضي والله أعلم .

الإلحاد:

الإلحاد في اللغة: الميل .

وفي الاصطلاح: الميل عما يجب اعتقاده ، أو عمله وهو قسمان:

أحدهما: في أسماء الله .

الثاني: في آياته .

فأما الإلحاد في أسمائه: فهو العدول عن الحق الواجب فيها وهو أربعة أنواع:

١- أن ينكر شيئاً منها ، أو مما دلت عليه الصفات ، كما فعل المعطلة .

٢- أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه ، كما فعل المشبهة .

٣- أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه ، لأن أسماء الله توقيفية كتسمية النصارى له "أبا " وتسمية الفلاسفة إياه " علة فاعلة " ونحو ذلك .

٤- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كاشتقاق" **اللات** "من الإله و" **العزى**" من العزيز .

وأما الإلحاد في آياته: فيكون في الآيات الشرعية . وهي ما جاءت به الرسل من الأحكام ، والأخبار ، ويكون في الآيات الكونية . وهي ما خلقه الله ويخلقه في السموات والأرض .

فأما الإلحاد في الآيات الشرعية: فهو تحريفها: أو تكذيب أخبارها ، أو عصيان أحكامها .

وأما الإلحاد في الآيات الكونية: فهو نسبتها إلى غير الله ، أو اعتقاد شريك ، أو معين له فيها .

الباب الرابع
في بيان صحة مذهب السلف وبطلان القول بتفضيل مذهب الخلف في العلم والحكمة على مذهب السلف

سبق القول في بيان طريقة السلف وذكر الدليل على وجوب الأخذ بها ، أما هنا فإننا نريد أن نبرهن على أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح وذلك من وجهين:

أحدهما: أن مذهب السلف دل عليه الكتاب ، والسنة ، فإن من تتبع طريقتهم بعلم ، وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً ولا بد فإن الله تعالى: أنزل الكتاب ليدبر الناس آياته ، ويعملوا بها إن كانت أحكاماً ، ويصدقوا بها إن كانت أخباراً ، ولا ريب أن أقرب الناس إلى فهمها وتصديقها والعمل بها هم السلف ، لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم ، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهاً ، وأقومهم عملاً .

الثاني: أن يقال: إن الحق في هذا الباب إما أن يكون فيما قاله السلف ، أو فيما قاله الخلف . والثاني باطل ، لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، قد تكلموا بالباطل تصريحاً ، أو ظاهراً ، ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحاً ولا ظاهراً فيكون وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، وترك الناس بلا كتاب ولا سنة خيراً لهم وأقوم ، وهذا ظاهر البطلان .

هذا وقد قال بعض الأغبياء: طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم .

ومنشأ هذا القول أمران:

أحدهما: اعتقاد قائله - بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة - أن الله تعالى: ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص .

الثاني: اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنى لها ، فيبقى الأمر دائراً بين أن نؤمن بألفاظ جوفاء لا معنى لها وهذه طريقة السلف على زعمه - و بين أن نثبت للنصوص معاني تخالف ظاهرها الدال على إثبات الصفات لله وهذه هي طريقة الخلف ، ولا ريب أن إثبات معاني النصوص أبلغ في العلم والحكمة من إثبات ألفاظ جوفاء ليس لها معنى ، ومن ثمَ فضل هذا الغبي طريقة الخلف في العلم والحكمة على طريقة السلف .

وقول هذا الغبي يتضمن حقاً وباطلاً: فأما الحق فقوله: " **إن مذهب السلف أسلم**" وأما **الباطل فقوله**: " **إن مذهب الخلف أعلم وأحكم** " وبيان بطلانه من وجوه:

الوجه الأول: أنه يناقض قوله: **(إن طريقة السلف أسلم)** فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة، والحكمة في سلوك تلك الأسباب وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، وهو لازم لهذا الغبي لزوماً لا محيد عنه.

الوجه الثاني: أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية دلت عليها هذه النصوص اعتقاد باطل، لأنه مبني على شبهات فاسدة[1] ولأن الله تعالى: قد ثبتت له صفات الكمال عقلاً، وفطرة، وشرعاً:

فأما دلالة العقل على ثبوت صفات الكمال لله فوجهه أن يقال: إن كل موجود في الخارج فلابد أن يكون له صفة إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، وبذلك استدل الله تعالى: على بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق، ولا تنصر فإذا بطل الثاني تعين الأول وهو ثبوت صفات الكمال لله.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمعطي الكمال أولى به.

وأما دلالة الفطرة على ثبوت صفات الكمال لله فلأن النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته.

وأما دلالة الشرع على ثبوت صفات الكمال لله: فأكثر من أن تحصر مثل قوله

---

(١) راجع ص٩٥ في الفصل الثاني من الباب العشرين.

تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الحشر: الآيات ٢٢ - ٢٤] وقوله: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة الروم: الآية ٢٧] وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥]. إلى قوله: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾. ومثل قوله ﷺ: **" أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً، بصيراً، قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"**[1].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

الوجه الثالث: أن اعتقاده أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف، فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظاً ومعنى، وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى: على حسب مراد الله ورسوله.

الوجه الرابع: أن السلف هم ورثة الأنبياء والمرسلين فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية وحقائق الإيمان. أما أولئك الخلف فقد تلقوا ما عندهم من المجوس، والمشركين وضلال اليهود، واليونان[2]. فكيف يكون ورثة المجوس، والمشركين، واليهود، واليونان، وأفراخهم، أعلم، وأحكم في أسماء الله وصفاته من ورثة الأنبياء والمرسلين؟!

الوجه الخامس: أن هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من

---

(١) رواه البخاري في "المغازي" (٤٢٠٥) باب غزوة خيبر، ومسلم في "الذكر والدعاء" (٦٨٠٢) باب استحباب خفض الصوت بالذكر من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) راجع ص ٩١ في الباب التاسع عشر.

البينات والهدى ، والتماسهم علم معرفة الله تعالى: ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه حتى قال الرازي[1] وهو من رؤسائهم مبيناً ما ينتهي إليه أمرهم:

نهاية إقدام العقــول عقـــال ... وأكثر سعي العالميــن ضـــلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغايــة دنيانــا أذى ووبـــال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالــوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ ، ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ واقرأ في النفي: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي أ ه - كلامه .

فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقروا على أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم ، وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟ !

وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم ، وأعلم ، وأحكم .

الباب الخامس
في حكاية بعض المتأخرين لمذهب السلف

قال بعض المتأخرين: " مذهب السلف في الصفات إمرار النصوص على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد" . أه - .

وهذا القول على إطلاقه فيه نظر فإن لفظ " **ظاهر**" مجمل يحتاج إلى تفصيل:

---

(١)هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي المولد ، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي ، وكان الرازي قد طوف في علم الكلام ثم تاب إلى الله وترك علم الكلام .

فإن أريد بالظاهر ما يظهر من النصوص من الصفات التي تليق بالله من غير تشبيه فهذا **مراد قطعاً ، ومن قال**: إنه غير مراد فهو ضال إن اعتقده في نفسه ، وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلى السلف .

وإن أريد بالظاهر ما قد يظهر لبعض الناس من أن ظاهرها تشبيه الله بخلقه ، فهذا غير مراد قطعاً ، وليس هو ظاهر النصوص لأن مشابهة الله لخلقه أمر مستحيل ، ولا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة أمراً مستحيلاً ، ومن ظن أن هذا هو ظاهرها فإنه يبين له أن ظنه خطأ ، وأن ظاهرها بل صريحها إثبات صفات تليق بالله وتختص به .

وبهذا التفصيل نكون قد أعطينا النصوص حقها لفظاً ومعنى والله أعلم .

الباب السادس
في لبس الحق بالباطل من بعض المتأخرين

قال بعض المتأخرين: " إنه لا فرق بين مذهب السلف ومذهب المؤولين في نصوص الصفات فإن الكل اتفقوا على أن الآيات والأحاديث لا تدل على صفات الله ، لكن المتأولون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إليه وعينوا المراد ، وأما السلف فأمسكوا عن التعيين لجواز أن يكون المراد غيره" . أ هـ - .

هذا كذب صريح على السلف فما منهم أحد نفى دلالة النصوص على صفات الله التي تليق به ، بل كلامهم يدل على تقرير جنس الصفات في الجملة ، والإنكار على من نفاها ، أو شبه الله بخلقه كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : " من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً" . أه - وكلامهم هذا كثير .

ومما يدل على إثبات السلف للصفات ، وأنهم ليسوا على وفاق مع أولئك المتأولين : أن أولئك المتأولة كانوا خصوماً للسلف ، وكانوا يرمونهم بالتشبيه ، والتجسيم ، لإثباتهم الصفات ، ولو كان السلف يوافقونهم في عدم دلالة النصوص على صفات الله لم يجعلوهم خصوماً لهم ، ويرموهم بالتشبيه والتجسيم وهذا ظاهر . ولله الحمد .

الباب السابع
في أقوال السلف المأثورة في الصفات

اشتهر عن السلف كلمات عامة وأخرى خاصة في آيات الصفات وأحاديثها فمن الكلمات العامة قولهم: " **أمروها كما جاءت بلا كيف**" .

روي هذا عن مكحول ، والزهري ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي .

وفي هذه العبارة رد على المعطلة والمشبهة ، ففي قولهم: " **أمروها كما جاءت**" رد على المعطلة . وفي قولهم: " **بلا كيف**" رد على المشبهة .

وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله تدل على ذلك من وجهين:

الأول: قولهم: "**أمروها كما جاءت**" . فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني ، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى: ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: " **أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها** " . ونحو ذلك .

الثاني: قولهم: " بلا كيف " فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى ، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته ، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه ، فنفي كيفيته من لغو القول .

فإن قيل: ما الجواب عما قاله الإمام أحمد في حديث النزول وشبهه: " **نؤمن بها ونصدق ، لا كيف ، ولا معنى**" .

قلنا: الجواب على ذلك: أن المعنى الذي نفاه الإمام أحمد في كلامه هو المعنى الذي ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم ، وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معانٍ تخالفه .

ويدل على ما ذكرنا أنه نفى المعنى ، ونفى الكيفية ، ليتضمن كلامه الرد على

كلتا الطائفتين **المبتدعتين:** طائفة المعطلة ، وطائفة المشبهة .

ويدل عليه أيضاًما قاله المؤلف في قول محمد بن الحسن : " **اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه" أ ه - .**

قال المؤلف : أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة ، والتابعون من الإثبات . أ ه - .

فهذا دليل على أن تفسير آيات الصفات وأحاديثها على نوعين :

الأول: تفسير مقبول: وهو ما كان عليه الصحابة والتابعون من إثبات المعنى اللائق بالله عز وجل الموافق لظاهر الكتاب والسنة .

الثاني: تفسير غير مقبول: وهو ما كان بخلاف ذلك .

وهذا المعنى منه مقبول ومنه مردود على ما تقدم .

فإن قيل: هل لصفات الله كيفية؟

فالجواب: نعم! لها كيفية لكنها مجهولة لنا ، لأن الشيء إنما تعلم كيفيته بمشاهدته ، أو مشاهدة نظيره ، أو خبر الصادق عنه ، وكل هذه الطرق غير موجودة في صفات الله . وبهذا عرف أن قول السلف : " **بلا كيف** " معناه بلا تكييف لم يريدوا نفي الكيفية مطلقاً لأن هذا تعطيل محض . والله أعلم .

الباب الثامن
في علو الله تعالى : وأدلة العلو

علو الله تعالى: من صفاته الذاتية ، وينقسم إلى قسمين:

علو ذات ، وعلو صفات .

فأما علو الصفات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى: أعلاها وأكملها سواء كانت من صفات المجد والقهر ، أم من صفات الجمال والقدر .

وأما علو الذات فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، والفطرة .

فأما الكتاب والسنة فإنهما مملوءان بما هو صريح ، أو ظاهر في إثبات علو الله تعالى: بذاته فوق خلقه وقد تنوعت دلالتهما على ذلك:

فتارة بذكر العلو ، والفوقية ، والاستواء على العرش ، وكونه في السماء مثل قوله تعالى: : ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٥]. ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [سورة الأعلى: الآية ١]. ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [سورة النحل: الآية ٥٠] ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [سورة طه: الآية ٥]. ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ**﴾ [سورة الملك: الآية ١٦]. وقوله ﷺ: "**والعرش فوق ذلك والله فوق العرش**"(١) . "**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**"(٢) .

وتارة بصعود الأشياء ، وعروجها ، ورفعها إليه مثل قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ**

---

(١) هذه الجملة مذكورة فى حديث الأوعال ، وهو حديث ضعيف . رواه أحمد (٢٠٦/١ ، ٢٠٧) وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذى (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٣٩) وابن خزيمة فى "التوحيد" (٢٣٤/١ - ٢٣٥) والدارمى فى "الرد على الجهمية رقم (٢٣٣) وفى الرد على المريسى (ص ٩٠ - ٩١) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٥٧٧/٢٥٣/١) والآجرى فى "الشرعية" (٢٩٢) وابن أبى شيبة فى كتاب العرش رقم (٩) وابن منده فى "التوحيد" رقم (٢١) والحاكم (٥٠٠/٢ - ٥٠١) واللالكائى فى "شرح أصول الاعتقاد" (٦٥٠ ، ٦٥١) والعقيلى فى "الضعفاء" (٢٨٤/٢) ، وابن الجوزى فى "العلل المتناهية" (٩/١ ، ١٠) وأبو نعيم فى "أخبار أصبهان" (٢/٢) وأبو الشيخ فى "العظمة" (٥٦٦/٢ - ٥٦٩ ، ١٠٥٠/٣) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" رقم (٨٤٧ ، ٨٨٢) من طرق عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مرفوعاً ، وقال الترمذى: حسن غريب ، قلت: هذا التحسين فيه تساهل من الإمام الترمذى رحمه الله ، وأبعد منه قول الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . فالحديث فى سنده عبد الله بن عميرة ، قال الذهبى فى "الميزان" (٤٦٩/٢): فيه جهالة ، قال البخارى: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس ، وفى الحديث علة أخرى وهى أن سماك بن حرب لا يحتج بما ينفرد به والحديث رواه أحمد (٢٠٧/١) والحاكم (٣٧٨/٢) وابن أبى شيبة فى "كتاب العرش" رقم (١٠) وابن الجوزى من طريق يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد بن سماك عن عبد الله بن عمير بن عباس ، ولم يذكر الأحنف ويحيى بن العلاء هذا كذاب وضاع ، وقال الذهبى فى "العلو" (ص٥٠): تفرد به سماك عن عبد الله ، وعبد الله فيه جهالة ويحيى بن العلاء متروك الحديث" . قلت: ولكن يغنى عن هذا الحديث قول النبى ﷺ : ((إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله المجاهدين فى سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الحمن)) رواه البخارى فى "التوحيد" (٧٤٢٣) .

(٢) رواه البخارى فى "المغازى" (٤٣٥١) باب بعث على بن أبى طالب عليه السلام ، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوادع ، ومسلم فى "الزكاة" (٢٤١٣) باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٠]. ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج: الآية ٤] ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٨]. وقوله ﷺ: "**لا يصعد إلى الله إلا الطيب**"[١]، "**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم**"[٢]، "**يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل**"[٣].

وتارة بنزول الأشياء منه ونحو ذلك مثل قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الواقعة: الآية ٨٠]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٢]. وقوله ﷺ: "**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**"[٤].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تواترت عن النبي ﷺ في علو الله تعالى: على خلقه تواتراً يوجب علماً ضرورياً بأن النبي ﷺ قالها عن ربه وتلقتها أمته عنه.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى: فوق سمواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصّاً وظاهراً قال الأوزاعي: "**كنا** والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى: ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من **الصفات**). قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف مذهب جهم.

ولم يقل أحد من السلف قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل، ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه، بل قد أشار إليه أعلم الخلق به في حجة الوداع يوم عرفة في ذلك المجمع العظيم حينما رفع إصبعه إلى السماء يقول: "**اللهم اشهد**"، يشهد ربه على إقرار أمته بإبلاغه الرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) رواه مسلم في "الزكاة" (٢٣٠٨) باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.
(٢) رواه البخارى فى "الصلاة" (٥٥٥) باب فضل صلاة العصر، ومسلم فى "الصلاة" (١٤٠٥) باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما.
(٣) رواه مسلم "الإيمان" (٤٣٨) باب فى قوله عليه السلام: ((إن الله لا ينام)).
(٤) رواه البخارى فى "التهجد" (١١٤٥) باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم فى "الصلاة" (١٧٤١) باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وأما العقل: فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه من وجهين:

الأول: أن العلو صفة كمال، والله تعالى: قد وجب له الكمال المطلق من جميع الوجوه فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى: .

الثاني: أن العلو ضده السُفْل، والسفل صفة نقص، والله تعالى: منزه عن جميع صفات النقص، فلزم تنزيهه عن السُفْل، وثبوت ضده له وهو العلو.

وأما الفطرة: فإن الله تعالى: فطر الخلق كلهم العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يميناً، ولا شمالاً، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء.

وكان أبو المعالي الجويني[1] يقول في مجلسه: " كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه" **(يعرض بإنكار استواء الله على عرشه)** فقال أبو جعفر الهمداني: " **دعنا من ذكر العرش - أي لأنه ثبت بالسمع - وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ما قال عارف قط: يا الله. إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو لا يلتفت يمنة، ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟** ".

فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني.

فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه.

فأما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣]. **وقوله**: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [سورة الزخرف: الآية ٨٤]. فليس معناهما أن الله في الأرض كما أنه في السماء، ومن توهم

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٤٧٨هـ، ينسب إلى مسقط رأس أبيه بلدة (جوين) بفارس وهو يلقب بإمام الحرمين، وكان قد خاض فى علم الكلام ثم تاب عنه وندم، وعاد إلى مذهب السلف فى الجملة له كتاب العقيدة النظامية.

هذا ، أو نقله عن أحد من السلف فهو مخطئ في وهمه وكاذب في نقله .

وإنما معنى الآية الأولى: أن الله مألوه في السموات وفي الأرض ، كل من فيهما فإنه يتأله إليه ويعبده وقيل: معناها أن الله في السموات ثم ابتدأ فقال: ﴿ **وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ** ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣] . أي: إن الله يعلم سركم وجهركم في الأرض ، فليس علوه فوق السموات بمانع من علمه سركم وجهركم في الأرض .

وأما الآية الثانية فمعناها: أن الله إله في السماء ، وإله في الأرض ، فألوهيته ثابتة فيهما ، وإن كان هو في السماء ، ونظير ذلك قول القائل: فلان أمير في مكة ، وأمير في المدينة . أي: إن إمارته ثابتة في البلدين ، وإن كان هو في أحدهما وهذا تعبير صحيح لغة وعرفاً والله أعلم .

الباب التاسع
في الجهة

نريد بهذه الترجمة أن نبين هل الجهة ثابتة لله تعالى: ، أو منتفية عنه؟

والتحقيق في هذا: أنه لا يصح إطلاق الجهة على الله تعالى: لا نفياً ، ولا إثباتاً ، بل لابد من التفصيل:

فإن أريد بها جهة سُفل ، فإنها منتفية عن الله ، وممتنعة عليه لأن الله تعالى: قد وجب له العلو المطلق بذاته ، وصفاته .

وإن أريد بها جهة علو تحيط به ، فهي منتفية عن الله ، وممتنعة عليه أيضاً فإن الله أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ، كيف وقد وسع كرسيه السموات والأرض؟

﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة الزمر: الآية ٦٧] .

وإن أريد بها جهة علو تليق بعظمته وجلاله من غير أحاطة به ، فهي حق ثابت

لله تعالى: واجبة له. قال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني في كتابه "**الغنية**": "**وهو سبحانه بجهة العلو، مستو على العرش، محتو على الملك**" أهـ - .

ومعنى قوله: "**محتو على الملك**" أنه محيط بالملك تبارك وتعالى: .

فإن قيل: إذا نفيتم أن يكون شيء من مخلوقات الله محيطاً به، فما الجواب عما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيهﷺ وأجمع عليه المسلمون من أن الله سبحانه في السماء؟

فالجواب: أن كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تحيط به، ومن قال ذلك فهو ضال إن قاله من عنده وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلى غيره فإن كل من عرف عظمة الله تعالى: وإحاطته بكل شيء، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، وأنه يطوي السماء كطي السجل للكتب فإنه لن يخطر بباله أن شيئاً من مخلوقاته يمكن أن يحيط به.

وعلى هذا فيخرج كونه (**في السماء**) على أحد معنيين:

الأول: أن يراد بالسماء العلو فيكون المعنى أن الله في العلو أي في جهة العلو، والسماء بمعنى العلو ثابت في القرآن قال الله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء**﴾ [سورة الأنفال: الآية ١١]. أي من العلو لا من السماء نفسها، لأن المطر ينزل من السحاب.

الثاني: أن تجعل "**في**" بمعنى "**على**" فيكون المعنى أن الله على السماء وقد جاءت "في" بمعنى "**على**"في مواضع كثيرة من القرآن وغيره قال الله تعالى: ﴿**فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ**﴾ [سورة التوبة: الآية ٢]. أي على الأرض.

الباب العاشر
في استواء الله على عرشه

الاستواء في اللغة: يطلق على معان تدور على الكمال والانتهاء، وقد ورد في القرآن على ثلاثة وجوه:

١- مطلق كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾ [سورة القصص: الآية ١٤]. أي كمل.

٢- ومقيد ب - " إلى " كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٩] أي قصد بإرادة تامة.

٣- ومقيد ب - " **على** " كقوله تعالى: ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ** ﴾ [سورة الزخرف: الآية ١٣] ومعناه حينئذ العلو والاستقرار.

فاستواء الله على عرشه معناه علوه واستقراره عليه، علوًّا واستقراراً يليق بجلاله وعظمته، وهو من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب، والسنة والإجماع، فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [سورة طه: الآية ٥].

ومن أدلة السنة: ما رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه** "[١].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: "إنه مذكور في كل كتاب أنزله الله على كل نبي" أه -.

وقد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى: فوق عرشه، ولم يقل أحد منهم: إنه ليس على العرش، ولا يمكن لأحد أن ينقل عنهم ذلك لا نصًّا ولا ظاهراً.

وقال رجل للإمام مالك رحمه الله: يا أبا عبد الله ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ [سورة طه: الآية ٥] كيف استوى؟! فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء **(العرق)** ثم قال: " **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً** " ثم أمر به أن يخرج.

وقد روي نحو هذا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك.

فقوله: " **الاستواء غير مجهول**" أي غير مجهول المعنى في اللغة فإن معناه العلو والاستقرار.

---

(١) ذكره ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" (٣٤).

وقوله: " والكيف غير معقول" معناه أنا لا ندرك كيفية استواء الله على عرشه بعقولنا ، وإنما طريق ذلك السمع ، ولم يرد السمع بذكر الكيفية فإذا انتفى عنها الدليلان العقلي ، والسمعي كانت مجهولة يجب الكف عنها .

وقوله: " **الإيمان به واجب**" ، معناه: أن الإيمان باستواء الله على عرشه على الوجه اللائق واجب ، لأن الله أخبر به عن نفسه فوجب تصديقه والإيمان به .

وقوله: " والسؤال عنه بدعة" معناه أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة ، لأنه لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه .

وهذا الذي ذكره الإمام مالك رحمه الله في الاستواء ميزان عام لجميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ فإن معناها معلوم لنا ، وأما كيفيتها فمجهولة لنا ، لأن الله أخبرنا عنها ولم يخبر عن كيفيتها [1] ولأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فإذا كنا نثبت ذات الله تعالى: من غير تكييف لها ، فكذلك يكون إثبات صفاته من غير تكييف .

قال بعض أهل العلم: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فكيف ينزل؟ فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل .

وقال آخر: إذا قال لك الجهمي في صفة من صفات الله: كيف هي؟

فقل له: كيف هو بذاته؟ فإنه لا يمكن أن يكيف ذاته فقل له: إذا كان لا يمكن تكييف ذاته فكذلك لا يمكن تكييف صفاته ، لأن الصفات تابعة للموصوف .

فإن قال قائل: إذا كان استواء الله على عرشه بمعنى العلو عليه لزم من ذلك أن يكون أكبر من العرش ، أو أصغر ، أو مساوياً وهذا يقتضي أن يكون جسماً ، والجسم ممتنع على الله .

فجوابه أن يقال: لا ريب أن الله أكبر من العرش ، وأكبر من كل شيء ، ولا يلزم على هذا القول شيء من اللوازم الباطلة التي ينزه الله عنها .

---

(١) راجع ص ٦٥ فى بيان الطرق التى تعلم بها الكيفية .

وأما قوله: " إن الجسم ممتنع على الله" فجوابه: أن الكلام في الجسم وإطلاقه على الله نفياً أو إثباتاً من البدع التي لم ترد في الكتاب ، والسنة ، وأقوال السلف وهو من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل:

فإن أريد بالجسم الشيء المحدث المركب ، المفتقر كل جزء منه إلى الآخر ، فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم .

وإن أريد بالجسم ما يقوم بنفسه ، ويتصف بما يليق به ، فهذا غير ممتنع على الله تعالى: فإن الله قائم بنفسه ، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به .

لكن لما كان لفظ الجسم يحتمل ما هو حق ، وباطل بالنسبة إلى الله صار إطلاق لفظه نفياً ، أو إثباتاً ممتنعاً على الله .

وهذه اللوازم التي يذكرها أهل البدع ليتوصلوا بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال على نوعين:

الأول: لوازم صحيحة لا تنافي ما وجب لله من الكمال ، فهذه حق يجب القول بها وبيان أنها غير ممتنعة على الله .

الثاني: لوازم فاسدة تنافي ما وجب لله من الكمال ، فهذه باطلة يجب نفيها ، وأن يبين أنها غير لازمة لنصوص الكتاب ، والسنة ، لأن الكتاب حق ومعانيها حق ، والحق لا يمكن أن يلزم منه باطل أبداً .

فإن قال قائل: إذا فسرتم استواء الله على عرشه بعلوه عليه ، أوهم ذلك أن يكون الله محتاجاً إلى العرش ليقلّه .

فالجواب: أن كل من عرف عظمة الله تعالى: ، وكمال قدرته ، وقوته ، وغناه فإنه لن يخطر بباله أن يكون الله محتاجاً إلى العرش ليقله ، كيف والعرش وغيره من المخلوقات مفتقر إلى الله ، ومضطر إليه لا قوام له إلا به ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره؟!

فإن قيل: هل يصح تفسير استواء الله على عرشه باستيلائه عليه كما فسره به المعطلة فراراً من هذه اللوازم؟

فالجواب: أنه لا يصح وذلك لوجوه منها:

١- إن هذه اللوازم إن كانت حقًّا فإنها لا تمنع من تفسير الاستواء بمعناه الحقيقي، وإن كانت باطلاً فإنه لا يمكن أن تكون من لوازم نصوص الكتاب والسنة، ومن ظن أنها لازمة لها فهو ضال.

٢- أن تفسيره بالاستيلاء يلزم عليه لوازم باطلة لا يمكن دفعها كمخالفة إجماع السلف، وجواز أن يقال: إن الله مستو على الأرض ونحوها مما ينزه الله عنه، وكون الله تعالى: غير مستولٍ على العرش حين خلق السموات والأرض.

٣- أن تفسيره بالاستيلاء غير معروف في اللغة فهو كذب عليها والقرآن نزل بلغة العرب فلا يمكن أن نفسره بما لا يعرفونه في لغتهم.

٤- أن الذين فسروه بالاستيلاء كانوا مقرين بأن هذا معنى مجازي والمعنى المجازي لا يقبل إلا بعد تمام أربعة أمور:

الأول: الدليل الصحيح المتقضي لصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه.

الثاني: احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادعاه من حيث اللغة.

الثالث: احتمال اللفظ للمعنى المجازي الذي ادعاه في ذلك السياق المعين، فإنه لا يلزم من احتمال اللفظ لمعنى من المعاني من حيث الجملة أن يكون محتملاً له في كل سياق، لأن قرائن الألفاظ والأحوال قد تمنع بعض المعاني التي يحتملها اللفظ في الجملة.

الرابع: أن يبين الدليل على أن المراد من المعاني المجازية هو ما ادعاه لأنه يجوز أن يكون المراد غيره فلابد من دليل على التعيين والله أعلم.

فصـــل

والعرش في اللغة: سرير الملك قال الله تعالى: عن يوسف: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٠] **وقال عن ملكة سبأ:** ﴿ **وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ [سورة النمل: الآية ٢٣].

وأما عرش الرحمن الذي استوى عليه: فهو عرش عظيم محيط بالمخلوقات، وهو أعلاها، وأكبرها كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة"[1].

قال المؤلف رحمه الله في الرسالة العرشية: " والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم، وابن حبان في صحيحه، وأحمد في المسند وغيرهم" أ هـ.

والكرسي في اللغة: السرير وما يقعد عليه.

أما الكرسي الذي أضافه الله إلى نفسه فهو موضع قدميه تعالى: ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " **الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل**"[2]. رواه الحاكم في المستدرك، وقال: إنه على شرط الشيخين وقد روي مرفوعاً[3]. والصواب أنه موقوف.

وهذا المعنى الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في الكرسي هو المشهور بين أهل السنة، وهو المحفوظ عنه، وما روي عنه أنه العلم فغير محفوظ، وكذلك ما روي عن الحسن أنه العرش ضعيف لا يصح عنه قاله ابن كثير رحمه الله تعالى.

---

(١) ضعيف. رواه محمد بن أبى شيبة فى كتاب "العرش" (٥٨) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٨٦١، ٨٦٢)، وابن حبان (٣٦١) وأبو نعيم فى "الحلية" (١/١٦٦ - ١٦٨) وأبو الشيخ فى "العظمة" (٢/٦٤٨، ٦٤٩) من عدة طرق وكلها واهية لا تصلح للاعتضاد، والله أعلم.

(٢) حسن. رواه عبد الله بن أحمد فى "السنة" (٤٠٧) والدارمى فى "الرد على المريسى" ص ٧١، ٧٣، ٧٤ وابن خزيمة فى "التوحيد" (ص١٠٧ - ١٠٨) ومحمد بن أبى شيبة فى "العرش" (٦١) والدارقطنى فى كتاب "الصفات" (٣٦، ٣٧) والحاكم (٢/٢٨٢).

(٣) ولا يصح هذا الحديث مرفوعاً إلى النبى ﷺ، وقد أورد الحافظ ابن كثير هذه الروايات المرفوعة فى تفسيره (١/٣٠٩) وحكم عليها بالبطلان، وحكم بضعفها أيضاً الشيخ الألبانى كما فى "الصحيحة" (١/١٧٦).

الباب الحادي عشر
في المعية

أثبت الله لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ أنه مع خلقه .

فمـن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ [سورة الحديد: الآية ٤]. ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة الأنفال: الآية ١٩] ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا** ﴾ [سورة طه: الآية ٤٦].

ومن أدلة السنة: قوله ﷺ "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت"[(١)]. وقوله ﷺ لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: " لا تحزن إن الله معنا" .

وقد أجمع على ذلك سلف الأمة ، وأئمتها .

والمعية في اللغة: مطلق المقارنة والمصاحبة لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال:

فتارة تقتضي اختلاطاً ، كما يقال: جعلت الماء مع اللبن .

وتارة تقتضي تهديداً وإنذاراً ، كما يقول المؤدب للجاني: اذهب فأنا معك .

وتارة تقتضي نصراً وتأييداً ، كمن يقول لمن يستغيث به: أنا معك ، أنا معك إلى غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال ، ومثل هذا اللفظ الذي يتفق في أصل معناه ويختلف مقتضاه وحكمه باختلاف الإضافات والقرائن يسميه بعض الناس مشككاً لتشكيك المستمع هل هو من قبيل المشترك الذي اتحد لفظه واختلف معناه نظراً لاختلاف مقتضاه وحكمه؟ أو هو من قبيل المتواطئ الذي اتحد لفظه ومعناه نظراً لأصل المعنى؟

والتحقيق أنه نوع من المتواطئ ، لأن واضع اللغة وضع هذا اللفظ بإزاء القدر

---

(١) ضعيف . رواه الطبراني في "الأوسط" (٨/٣٣٦/٨٧٦٦) وأبو نعيم في "الحلية" (٦/١٢٤) والبيهقي في "شعب الإيمان" (١/٤٧٠/٧٤١) وفي "الأسماء والصفات" (٢/٣٤٠/٩٠٧) وفي "الأربعون الصغرى" (٤٠) والدولابي في "الكنى" (٢/١٣٥) وفي سنده نعيم بن حماد وهو ضعيف . وانظر "الضعيفة" (٢٥٨٩) .

المشترك ، واختلاف حكمه ومقتضاه إنما هو بحسب الإضافات والقرائن لا بأصل الوضع ، لكن لما كانت نوعاً خاصاً من المواطأة ؟ فلا بأس بتخصيصها بلفظ ، إذا تبين ذلك فقد اتضح أن لفظ المعية المضاف إلى الله مستعمل في حقيقته لا في مجازه ، غير أن معية الله لخلقه معية تليق به ، فليست كمعية المخلوق للمخلوق بل هي أعلى ، وأكمل ، ولا يلحقها من اللوازم والخصائص ما يلحق معية المخلوق للمخلوق .

هذا وقد فسر بعض السلف معية الله لخلقه : بعلمه بهم ، وهذا تفسير للمعية ببعض لوازمها ، وغرضهم به الرد على حلولية الجهمية الذين قالوا : إن الله بذاته في كل مكان واستدلوا بنصوص المعية ، فبين هؤلاء السلف أنه لا يراد من المعية كون الله معنا بذاته ، فإن هذا محال عقلاً ، وشرعاً ، لأنه ينافي ما وجب من علوه ويقتضي أن تحيط به مخلوقاته وهو محال .

أقسام معية الله لخلقه :

تنقسم معية الله لخلقه إلى قسمين : عامة ، وخاصة :

فالعامة هي التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن ، وكافر ، وبر ، وفاجر في العلم ، والقدرة ، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية .

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عز وجل ، ولذلك قال النبي ﷺ : "**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**"[(١)] .

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد : الآية ٤] **﴿ مَا يَكُونُ من نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى من ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾** [سورة المجادلة : الآية ٧] .

وأما الخاصة فهي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم .

---

(١) سبق تخريجه وهو ضعيف .

وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة .

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة الأنفال: الآية ١٩] ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٨] ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [سورة طه: الآية ٤٦] . وقوله عن نبيه ﷺ: ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [سورة التوبة: الآية ٤٠] .

فإن قيل: هل المعية من صفات الله الذاتية أو من صفاته الفعلية؟

فالجواب: أن المعية العامة من الصفات الذاتية ، لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى: أزلاً وأبداً ، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية ، لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها .

الباب الثاني عشر
في الجمع بين نصوص علو الله بذاته ومعيته

قبل أن نذكر الجمع بينهما نحب أن نقدم قاعدة نافعة أشار إليها المؤلف رحمه الله في كتاب(**العقل والنقل**) ص ٤٣ - ٤٤ ج ١ وخلاصتها:

أنه إذا قيل بالتعارض بين دليلين فإما أن يكونا قطعيين ، أو ظنيين ، أو أحدهما قطعياً والآخر ظنياً فهذه ثلاثة أقسام:

الأول: القطعيان: وهما ما يقطع العقل بثبوت مدلولهما ، فالتعارض بينهما محال ، لأن القول بجواز تعارضهما يستلزم إما وجوب ارتفاع أحدهما وهو محال ، لأن القطعي واجب الثبوت ، وإما ثبوت كل منهما مع التعارض وهو محال أيضاً ، لأنه جمع بين النقيضين .

فإن ظن التعارض بينهما فإما أن لا يكونا قطعيين ، وإما أن لا يكون بينهما تعارض بحيث يحمل أحدهما على وجه ، والثاني على وجه آخر ، ولا يرد على ذلك ما يثبت نسخه من نصوص الكتاب والسنة القطعية ، لأن الدليل المنسوخ غير قائم فلا

معارض للناسخ .

الثاني: أن يكونا ظنيين إما من حيث الدلالة ، وإما من حيث الثبوت فيطلب الترجيح بينهما ثم يقدم الراجح .

الثالث: أن يكون أحدهما قطعياً ، والآخر ظنياً ، فيقدم القطعي باتفاق العقلاء ، لأن اليقين لا يدفع بالظن .

إذا تبين هذا فنقول: لا ريب أن النصوص قد جاءت بإثبات علو الله بذاته فوق خلقه وأنه معهم ، وكل منهما قطعي الثبوت والدلالة وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** [سورة الحديد: الآية ٤] .

ففي هذه الآية أثبت الله تعالى: استواءه على العرش الذي هو أعلى المخلوقات وأثبت أنه معنا وليس بينهما تعارض فإن الجمع بينهما ممكن وبيان إمكانه من وجوه :

الأول: أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالاً لأن النصوص لا تدل على محال ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى ، مستعيناً بالله ، سائلاً منه الهداية والتوفيق ، باذلاً جهده في الوصول إلى معرفة الحق فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك ، وإلا فليكل الأمر إلى عالمه وليقل: "**آمنا به كل من عند ربنا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم**" .

الثاني: أنه لا منافاة بين معنى العلو والمعية ، فإن المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان كما تقدم فقد يكون الشيء عالياً بذاته وتضاف إليه المعية كما يقال: "**ما زلنا نسير والقمر معنا**" مع أن القمر في السماء ، ولا يعد ذلك تناقضاً لا في اللفظ ولا في المعنى ، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا ، وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض ، فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى .

الثالث: أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق

فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق ، لأن الله تعالى: ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، فلا تقاس معيته بمعية خلقه ، ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته ، ولأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته بل هو بكل شيء محيط .

وبنحو هذه الوجوه يمكن الجمع بين ما ثبت من علو الله بذاته وكونه قبل المصلي ، فيقال: الجمع بينهما من وجوه:

الأول: أن النصوص جمعت بينهما والنصوص لا تأتي بالمحال .

الثاني: أنه لا منافاة بين معنى العلو والمقابلة ، فقد يكون الشيء عالياً وهو مقابل ، لأن المقابلة لا تستلزم المحاذاة ، ألا ترى أن الرجل ينظر إلى الشمس حال بزوغها فيقول: إنها قبل وجهي . مع أنها في السماء ، ولا يعد ذلك تعاقضاً في اللفظ ولا في المعنى ، فإذا جاز هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى .

الثالث: أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمقابلة تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق ، لأن الله تعالى: ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، فلا يقتضي كونه قبل وجه المصلي أن يكون في المكان أو الحائط الذي يصلي إليه . لوجوب علوه بذاته ، ولأنه لا يحيط به شيء من المخلوقات ، بل هو بكل شيء محيط .

الباب الثالث عشر
في نزول الله إلى السماء الدنيا

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: " **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له**"(١) .

وقد روى هذا الحديث عن النبي ﷺ نحو ثمان وعشرين نفساً من الصحابة رضي

---

(١) وهذا الحديث متواتر ، وانظر "شرح حديث النزول" لشيخ الإسلام ابن تيمية .

الله عنهم ، واتفق أهل السنة على تلقي ذلك بالقبول .

ونزوله تعالى: إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته .

ولا يصح تحريف معناه إلى نزول أمره ، أو رحمته ، أو ملك من ملائكته ، فإن هذا باطل لوجوه:

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث ، لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله ، والأصل أن الشيء إنما يضاف إلى من وقع منه أو قام به فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفاً يخالف الأصل .

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف والأصل عدم الحذف .

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل ، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت .

فإن قيل: المراد نزول أمر خاص ، ورحمة خاصة وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت .

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل ، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها ؟!

الرابع: أن الحديث دل على أن الذي ينزل يقول: " من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له" . ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله تعالى:

فصـــل:

في الجمع بين نصوص علو الله تعالى: بذاته ، ونزوله إلى السماء الدنيا

علو الله تعالى: من صفاته الذاتية التي لا يمكن أن ينفك عنها ، وهو لا ينافي ما

جاءت به النصوص من نزوله إلى السماء الدنيا والجمع بينهما من وجهين:

الأول: أن النصوص جمعت بينهما ، والنصوص لا تأتي بالمحال كما تقدم .

الثاني: أن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، فليس نزوله كنزول المخلوقين حتى يقال: إنه ينافي علوه ويناقضه والله أعلم .

الباب الرابع عشر
في إثبات الوجه لله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله وجهاً حقيقياً يليق به موصوفاً بالجلال والإكرام . وقد دل على ثبوته لله الكتاب ، والسنة .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن: الآية ٢٧] .

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ في الدعاء المأثور: " وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك "(١) .

فوجه الله تعالى: من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به .

ولا يصح تحريف معناه إلى الثواب لوجوه منها:

أولاً: أنه خلاف ظاهر النص ، وما كان مخالفاً لظاهر النص فإنه يحتاج إلى دليل ، ولا دليل على ذلك .

ثانياً: أن هذا الوجه ورد في النصوص مضافاً إلى الله تعالى: والمضاف إلى الله: إما أن يكون شيئاً قائماً بنفسه ، وإما أن يكون غير قائم بنفسه ، فإن كان قائماً بنفسه فهو مخلوق وليس من صفاته كبيت الله ، وناقة الله ، وإنما أضيف إليه إما للتشريف ، وإما من باب إضافة المملوك والمخلوق إلى مالكه وخالقه . وإن كان غير قائم بنفسه فهو من صفات الله ، وليس بمخلوق كعلم الله ، وقدرته ، وعزته ، وكلامه ، ويده ، وعينه

---

(١) صحيح . رواه النسائي في "السهو" (٣/٥٤ - ٥٥) والحاكم (١/٥٢٤) .

ونحو ذلك ، والوجه بلا ريب من هذا النوع فإضافته إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف .

ثالثاً: أن الثواب مخلوق بائن عن الله تعالى: ، والوجه صفة من صفات الله غير مخلوق ولا بائن ، فكيف يفسر هذا بهذا؟!

رابعاً: أن ذلك الوجه وصف في النصوص بالجلال والإكرام ، وبأن له نوراً يستعاذ به ، وسبحات تحرق ما انتهى إليه بصر الله من خلقه ، وكل هذه الأوصاف تمنع أن يكون المراد به الثواب . والله أعلم .

الباب الخامس عشر
في يدي الله عز وجل

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى: يدين ، اثنتين ، مبسوطتين بالعطاء والنعم . وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به .

وقد دل على ثبوتهما الكتاب ، والسنة .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص: الآية ٧٥] .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: " يد الله ملأى سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه "(١) .

وقد أجمع أهل السنة على أنهما يدان حقيقيتان لا تشبهان أيدي المخلوقين ، ولا يصح تحريف معناهما إلى القوة ، أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها:

أولاً: أنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل .

ثانياً: أنه معنى تأباه اللغة في مثل السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري في "التوحيد" (٧٤١٩) باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ، ومسلم في "الزكاة" (٢٢٧٢) باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

فإن الله قال: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص: الآية ٧٥] ولا يصح أن يكون المعنى لما خلقت بنعمتي ، أو قوتي .

ثالثاً: أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية ، ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا؟!

رابعاً: أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك . وهذا ممتنع ولو كان جائزاً لا حتج به إبليس على ربه حين قال له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص: الآية ٧٥] .

خامساً: أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه تصرفت تصرفاً يمنع أن يكون المراد بها النعمة ، أو القوة فجاءت بلفظ اليد ، والكف ، وجاء إثبات الأصابع لله تعالى: ، والقبض ، والهز كقوله ﷺ: " **يقبض الله سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك**"[١] .

وهذه التصرفات تمنع أن يكون المراد بها النعمة ، أو القوة .

الباب السادس عشر
في عيني الله تعالى

مذهب أهل السنة والجماعة أن لله عينين ، اثنتين ، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به . وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب ، والسنة .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر: الآية ١٤] .

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ: " إن ربكم ليس بأعور"[٢] "ينظر إليكم أزلين قنطين" "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[٣] .

---

(١) رواه البخاري في "التوحيد" (٧٣٨٢) باب قول الله تعالى: {ملك الناس} ، ومسلم في "التوبة" (٦٩١٢) باب كتابة صفة القيامة والجنة والنار .

(٢) رواه البخاري في "الفتن" (٩١/١٣) باب ذكر الدجال . ومسلم في "الفتن" (٧٢٢١) باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(٣) رواه مسلم في "الإيمان" (٤٣٨) باب قوله عليه السلام "إن الله لا ينام" عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

فهما عينان حقيقيتان لا تشبهان أعين المخلوقين . ولا يصح تحريف معناهما إلى العلم ، والرؤية لوجوه منها :

أولاً : أنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل .

ثانياً : أن في النصوص ما يمنع ذلك مثل قوله ﷺ : " **ينظر إليكم** " " **لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** " . " **وإن ربكم ليس بأعور** " .

الباب السابع عشر
في الوجوه التي وردت عليها صفتا اليدين والعينين

وردت صفتا اليدين ، والعينين في النصوص مضافة إلى الله تعالى: على ثلاثة أوجه: الإفراد ، والتثنية ، والجمع .

فمن أمثلة الإفراد: قوله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ [سورة الملك: الآية ١] . ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ [سورة طه: الآية ٣٩] .

ومن أمثلة الجمع: قوله تعالى: : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا** ﴾ [سورة يس: الآية ٧١] . ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [سورة القمر: الآية ١٤] .

ومن أمثلة التثنية: قوله تعالى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٤] . وقول النبي ﷺ : " **إذا قام العبد في الصلاة قام بين عيني الرحمن** " . هكذا هو في مختصر الصواعق عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولم يعزه ولم ترد صفة العينين في القرآن بصورة التثنية .

هذه هي الوجوه الثلاثة التي وردت عليها صفتا اليدين ، والعينين .

والجمع بين هذه الوجوه أن يقال :

إن الإفراد لا ينافي التثنية ، ولا الجمع ، لأن المفرد المضاف يعم فيتناول كل ما ثبت لله من يد ، أو عين واحدة كانت أو أكثر .

وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع : فإن قلنا : أقل الجمع اثنان فلا

منافاة أصلاً بين صيغتي التثنية والجمع لاتحاد مدلوليهما ، وإن قلنا : أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال : إنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر ، وإنما أريد بها والله أعلم التعظيم والمناسبة ، أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه ، فإن المضاف إليه ، وهو " **نا** " يراد به هنا التعظيم قطعاً فناسب أن يؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه فإن الجمع أدل على التعظيم من الإفراد والتثنية ، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالاً على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ .

الباب الثامن عشر
في كلام الله سبحانه وتعالى

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يتكلم ، وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به .

وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت ، كيف يشاء ، متى شاء ، فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه ، وصفة فعل باعتبار آحاده .

وقد دل على هذا القول الكتاب ، والسنة .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** ﴾ [سورة الأعراف : الآية ١٤٣] وقوله : ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٥٥] وقوله : ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ [سورة مريم : الآية ٥٢] .

ففي الآية الأولى: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته ، وأن آحاده حادثة .

وفي الآية الثانية: دليل على أنه بحرف فإن مقول القول فيها حروف .

وفي الآية الثالثة: دليل على أنه بصوت إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت .

ومن أدلة السنة قول النبي ﷺ: " **يقول الله تعالى: يا آدم . فيقول: لبيك**

وسعديك . فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار" .

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعاً ، ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى : ، أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من مختصر الصواعق المرسلة :

١- **قول الكرامية**[1]**:** وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا : " **إنه حادث بعد أن لم يكن**" فراراً من إثبات حوادث لا أول لها .

٢- **قول الكلابية** : " إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة ، والعلم فلا يتعلق بمشيئته ، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته ، وهو أربعة معان : **أمر ، ونهي ، وخبر ، واستخبار**" .

٣- **قول الأشعرية** : وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين :

أحدهما : في معاني الكلام فالكلابية يقولون : إنه أربعة معانٍ .

والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد فالخبر ، والاستخبار ، والأمر ، والنهي كل واحد منها هو عين الآخر وليست أنواعاً للكلام ، بل صفات له ، بل التوراة والإنجيل ، والقرآن كل واحد منها عين الآخر لا تختلف إلا بالعبارة .

الثاني : أن الكلابية قالوا : " إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله" . وأما الأشعرية فقالوا : " إنها عبارة عن كلام الله" .

٤- **قول السالمية :** "إنه صفة قائمة بذاته لازمة لها كلزوم الحياة ، والعلم ، فلا يتعلق بمشيئته ، وهو حروف وأصوات متقارنة لا يسبق بعضها بعضاً ، فالباء والسين والميم في البسملة مثلاً كل حرف منها مقارن للآخر في آن واحد ومع ذلك لم تزل ولا تزال موجودة" .

---

(١) الكرامية هى طائفة من المرجئة أصحاب محمد بن كرام ، من عقيدتها أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون التصديق بالقلب ، والمنافقون عندهم من المؤمنين لأنهم يقرون بألسنتهم . انظر "مقالات الإسلاميين" (١/٢٠٥) .

٥- **قول الجهمية والمعتزلة:** "إنه مخلوق من المخلوقات وليس من صفات الله".

ثم من الجهمية من صرح بنفي الكلام عن الله ، ومنهم من أقر به وقال: إنه مخلوق .

٦- **قول فلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو:** "إنه فيض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها فيوجب لها تصورات ، وتصديقات بحسب ما قبلته منه ، وهذه التصورات والتصديقات المتخيلة تقوى حتى تصور الشيء المعقول صوراً نورانية تخاطبها بكلام تسمعه الآذان .

٧- قول الاتحادية - القائلين بوحدة الوجود - إن كل كلام في الوجود كلام الله كما قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وكل هذه الأقوال مخالفة لما دل عليه الكتاب ، والسنة ، والعقل ، ومن رزقه الله علماً وحكمة فهم ذلك .

فصل
في أن القرآن كلام الله

مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، تكلم به حقيقة ، وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ .

وقد دل على هذا القول الكتاب ، والسنة .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٦] يعني القرآن وقوله: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة ص: الآية ٢٩]. ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ - ١٩٥].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ وهو يعرض نفسه على الناس في الموقف: " **ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل**". وقوله ﷺ، للبراء ابن عازب: " **إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**".

وقال عمرو بن دينار: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: " **الله الخالق وما سواه مخلوق، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود**" أ هـ.

ومعنى قولهم: " **منه بدأ** " أن الله تكلم به ابتداء، وفيه رد على الجهمية القائلين بأنه خلقه في غيره.

وأما قولهم: "**وإليه يعود**" فيحتمل معنيين:

أحدهما: أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه بمعنى أن أحداً لا يوصف بأنه تكلم به غير الله، لأنه هو المتكلم به، والكلام صفة للمتكلم.

الثاني: أنه يُرفع إلى الله تعالى: كما جاء في بعض الآثار أنه يسري به من المصاحف والصدور وذلك إنما يقع والله أعلم حين يُعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضاً كلياً فيرفع عنهم تكريماً له والله المستعان.

فصل
في اللفظ والملفوظ

الكلام في هذا الفصل يتعلق بالقرآن فإنه قد سبق أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن اللفظ بالقرآن هل يصح أن نقول: إنه مخلوق، أو غير مخلوق، أو يجب السكوت؟

فالجواب أن يقال: إن إطلاق القول في هذا نفياً أو إثباتاً غير صحيح وأما عند

التفصيل فيقال: إن أريد باللفظ التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق ، لأن العبد وفعله مخلوقان ، وإن أريد باللفظ الملفوظ به فهو كلام الله غير مخلوق ، لأن كلام الله من صفاته ، وصفاته غير مخلوقة ، ويشير إلى هذا التفصيل قول الإمام أحمد رحمه الله : " **من قال: لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي** " فقوله: يريد به القرآن يدل على أنه إن أراد به غير القرآن وهو التلفظ الذي هو فعل فليس بجهمي . والله أعلم .

الباب التاسع عشر
في ظهور مقالة التعطيل واستمدادها

شاعت مقالة التعطيل بعد القرون المفضلة الصحابة والتابعين وتابعيهم وإن كان أصلها قد نبغ في أواخر عصر التابعين .

وأول من تكلم بالتعطيل الجعد بن درهم فقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً . فقتله خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً على العراق لهشام بن عبد الملك ، خرج به إلى مصلى العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل وذبحه وذلك في عيد الأضحى سنة ١١٩ ه - .

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في النونية :

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ال ... قسري يوم ذبائح القربـــان

إذ قال: إبراهيم ليس خليلـــــه ... كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك مـــن أخـــي قربـــان

ثم أخذها عن الجعد رجل يقال له: الجهم بن صفوان وهو الذي ينسب إليه مذهب الجهمية المعطلة ، لأنه نشره فقتله سالم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار وذلك في مرو سنة ١٢٨ هـ - .

وفي حدود المائة الثانية عُرِّبت الكتب اليونانية والرومانية فازداد الأمر بلاء وشدة .

ثم في حدود المائة الثالثة انتشرت مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقتِه الذين أجمع الأئمة على ذمهم وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم . وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتاباً رد به على المريسي سماه " نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد" من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلة ، بل بطلانها ، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي ، والغزالي ، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بِشْر .

وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة .

فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته على ما قيل من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ .

ثم إن الجعد كان على ما قيل من أرض حران وفيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ، ولا ريب أن للبيئة تأثيراً قوياً في عقيدة الإنسان وأخلاقه .

وكان مذهب النفاة من هؤلاء أن الله ليس له صفات ثبوتية ، لأن ثبوت الصفات يقتضي على زعمهم أن الله مشابه لخلقه ، وإنما يثبتون له صفات سلبية ، أو إضافية ، أو مركبة منهما .

فالسلبية: ما كان مدلولها عدم أمر لا يليق بالله عز وجل مثل قولهم: " **إن الله واحد**" بمعنى أنه مسلوب عنه القسمة بالكَم ، أو القول ومسلوب عنه الشريك .

والإضافية: هي التي لا يوصف الله بها على أنها صفة ثابتة له ، ولكن يوصف بها باعتبار إضافتها إلى الغير كقولهم عن الله تعالى: "إنه مبدأ وعلة" فهو مبدأ وعلة ، باعتبار أن الأشياء صدرت منه لا باعتبار صفة ثابتة له هي البداء والعلية .

والمركبة منهما هي: التي تكون سلبية باعتبار ، وإضافية باعتبار ، كقولهم عن

الله تعالى: : "**إنه أول**" فهي سلبية باعتبار أنه مسلوب عنه الحدوث إضافية باعتبار أن الأشياء بعده .

فإذا كان هذا هو ما تستمد منه طريقة النفاة فكيف تطيب نفس مؤمن أو عاقل أن يأخذ به ويترك سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين؟ .

الباب العشرون
في طريقة النفاة فيما يجب إثباته أو نفيه من صفات الله

اتفق النفاة على أن يثبتوا لله من الصفات ما اقتضت عقولهم إثباته وأن ينفوا عنه ما اقتضت عقولهم نفيه ، سواء وافق الكتاب والسنة ، أم خالفهما فطريق إثبات الصفات لله أو نفيها عنه عندهم هو العقل .

ثم اختلفوا فيما لا يقتضي العقل إثباته ، أو نفيه ، فأكثرهم نفوه وخرجوا ما جاء منه على المجاز ، وبعضهم توقف فيه وفوض علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات .

وهم يزعمون أنهم وفقوا بهذه الطريقة بين الأدلة العقلية والنقلية ، ولكنهم كذبوا في ذلك لأن الأدلة العقلية والنقلية متفقة على إثبات صفات الكمال لله ، وكل ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله فإنه لا يخالف العقل ، وإن كان العقل يعجز عن إدراك التفصيل في ذلك .

وقد شابه هؤلاء النفاة في طريقتهم طريقة من قال الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [سورة النساء: الآيات ٦٠ - ٦١] .

ووجه مشابهتهم لهم من وجوه:

الأول: أن كل واحد من الفريقين يزعم أنه مؤمن بما أنزل على النبي ﷺ مع أنهم لا يقبلون كل ما جاء به.

الثاني: أن هؤلاء النفاة إذا دعوا إلى ما جاء به الكتاب والسنة من إثبات صفات الكمال لله أعرضوا وامتنعوا، كما أن أولئك المنافقين إذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالث: أن هؤلاء النفاة لهم طواغيت يقلدونهم ويقدمونهم على ما جاءت به الرسل ويريدون أن يكون التحاكم عند النزاع إليهم لا إلى الكتاب والسنة، كما أن أولئك المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.

الرابع: أن هؤلاء النفاة زعموا أنهم أرادوا بطريقتهم هذه عملاً حسناً وتوفيقاً بين العقل والسمع، كما أن أولئك المنافقين يحلفون أنهم ما أرادوا إلا إحساناً وتوفيقاً.

وكل مبطل يتستر في باطله ويتظاهر بالحق فإنه يأتي بالدعاوى الباطلة التي يروج بها باطله، ولكن من وهبه الله علماً، وفهماً، وحكمة، وحسن قصد فإنه لا يلتبس عليه الباطل ولا تروج عليه الدعاوى الكاذبة. والله المستعان.

فصل
فيما يلزم على طريقة النفاة من اللوازم الباطلة

يلزم على طريقة النفاة لوازم باطلة منها:

أولاً: أن الكتاب والسنة صرحا بالكفر والدعوة إليه لأنهما مملوءان من إثبات صفات الله التي زعم هؤلاء النفاة أن إثباتها تشبيه وكفر.

ثانياً: أن الكتاب والسنة لم يبينا الحق، لأن الحق عند هؤلاء هو نفي الصفات، وليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على نفي صفات الكمال عن الله لا نصاً ولا ظاهراً.

وغاية المتحذلق من هؤلاء أن **يستنتج ذلك**[1] . من مثل قوله تعالى: ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [سورة مريم: الآية ٦٥]. و ﴿ **لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [سورة الإخلاص: الآية ٤].

ومن المعلوم لكل عاقل أن المقصود من أمثال هذه النصوص إثبات كمال الله تعالى: ، وأنه لا شبيه له في صفاته ، ولا يمكن أن يراد بها بيان انتفاء الصفات عنه إذ لا ريب أن من دل الناس على انتفاء الصفات عن الله بمثل هذا الكلام فهو إما ملغز في كلامه ، أو مدلس ، أو عاجز عن البيان ، وكل هذه الأمور ممتنعة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، فإن كلامهما قد تضمن كمال البيان والإرادة ، فليس المقصود به إرادة ضلال الخلق والتعمية عليهم ، وليس فيه نقص في البيان والفصاحة .

ثالثاً: أن السابقين الأولين من المهاجرين ، والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كانوا قائلين بالباطل وكاتمين للحق ، أو جاهلين به ، فإنه قد تواتر النقل عنهم بإثبات صفات الكمال لله الذي زعم هؤلاء أنه باطل ، ولم يتكلموا مرة واحدة بنفي الصفات الذي زعم هؤلاء أنه الحق وهذا اللازم ممتنع على خير القرون وأفضل الأمة .

رابعاً: أنه إذا انتفت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص ، فإن كل موجود في الخارج لابد له من صفة فإذا انتفت عنه صفات الكمال لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص ، وبهذا ينعكس الأمر على هؤلاء النفاة ويقعون في شر مما فروا منه .

فصل
فيما يعتمد عليه النفاة من الشبهات

يعتمد نفاة الصفات على شبهات باطلة [2] يعرف بطلانها كل من رزقه الله علماً صحيحاً وفهماً سليماً .

وغالب ما يعتمدون عليه ما يأتي:

---

(١) أي ما يدعيه من نفي الصفات .
(٢) ومنها ما تقدم من قوله تعالى: {هل تعلم له سميا} ، {لم يكن له كفوا أحد} .

١- دعوى كاذبة مثل أن يدعي الإجماع على قوله ، أو أنه هو التحقيق أو أنه قول المحققين ، أو أن قول خصمه خلاف الإجماع ونحو ذلك .

٢- شبهة مركبة من قياس فاسد مثل قولهم: إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه ، لأن الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم ، والأجسام متماثلة .

٣- تمسك بألفاظ مشتركة بين معان يصح نسبتها إلى الله تعالى: ومعان لا يصح نسبتها إليه مثل: الجسم والحيز ، والجهة فهذه الألفاظ المجملة يتوصلون بإطلاق نفيها عن الله إلى نفي صفاته عنه [1] .

ثم هم يصوغون هذه الشبهات بعبارات مزخرفة طويلة غريبة يحسبها الجاهل بها حقًّا بما كسيته من زخارف القول فإذا حقق الأمر تبين له أنها شبهات باطلة كما قيل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقاً وكل كاسر مكسور

والرد على هؤلاء من وجوه:

الأول: نقض شبهاتهم وحججهم ، وأنه يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه فيما نفوه .

الثاني: بيان تناقض أقوالهم واضطرابها ، حيث كانت كل طائفة منهم تدعي أن العقل يوجب ما تدعي الأخرى أنه يمنعه ونحو ذلك ، بل الواحد منهم ربما يقول قولاً يدعي أن العقل يوجبه ، ثم ينقضه في محل آخر ، وتناقض الأقوال من أقوى الأدلة على فسادها .

الثالث: بيان ما يلزم على نفيهم من اللوازم الباطلة فإن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

الرابع: أن النصوص الواردة في الصفات لا تحتمل التأويل ، ولئن احتمله بعضها

---

(١) انظر الكلام فى الجهة ص٦٣ الباب التاسع والكلام فى الجسم ص ٦٥ الباب العاشر وأما الحيز فيفصل فيه : فإن أريد أن الله تحوزه المخلوقات فهو ممتنع وإن أريد أنه منحاز عن المخلوقات مباين لها فصحيح .

فليس فيه ما يمنع إرادة الظاهر فتعين المصير إليه .

الخامس: أن عامة هذه الأمور من الصفات يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول ﷺ جاء بها ، فتأويلها بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية للصلاة ، والصوم ، والحج ونحو ذلك .

السادس: أن العقل الصريح - أي السالم من الشبهات ، والشهوات - لا يحيل ما جاءت به النصوص من صفات الله ، بل إنه يدل على ثبوت صفات الكمال لله في الجملة ، وإن كان في النصوص من التفاصيل في هذا الباب ما تعجز العقول عن إدراكه والإحاطة به .

وقد اعترف الفحول من هؤلاء أن العقل لا يمكنه الوصول إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية ، وعلى هذا فالواجب تلقي ذلك من النبوات على ما هو عليه من غير تحريف والله أعلم .

الباب الحادي والعشرون
في أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل
قد جمع بين التعطيل والتمثيل

المعطل: هو من نفى شيئاً من أسماء الله ، أو صفاته ، كالجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم .

والممثل: هو من أثبت الصفات لله ممثلاً له بخلقه . كمتقدمي الرافضة ونحوهم .

وحقيقة الأمر أن كل معطل ممثل ، وكل ممثل معطل .

أما المعطل فتعطيله ظاهر . وأما تمثيله فوجهه: أنه إنما عطل لأنه اعتقد أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فأخذ ينفي الصفات فراراً من ذلك فمثل أولاً ، وعطل ثانياً .

وأما الممثل فتمثيله ظاهر وأما تعطيله فمن وجوه ثلاثة :

أحدها: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة حيث صرفه عن مقتضى ما

يدل عليه ، فإن النص دال على إثبات صفة تليق بالله ، لا على مشابهة الله لخلقه .

الثاني: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطل كل نص يدل على نفي مشابهته لخلقه . مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص: الآية ٤] .

الثالث: أنه إذا مثل الله بخلقه فقد عطله عن كماله الواجب ، حيث شبه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص .

الباب الثاني والعشرون
في تحذير السلف عن علم الكلام

علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها ، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به ، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك حتى قال الإمام أحمد: **" لا يفلح صاحب كلام أبداً "** .

وقال الشافعي: " **حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام** " اهـ - .

وهم مستحقون لما قاله الإمام الشافعي من وجه ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم عن اتباع مذهبهم ، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم الحيرة واستحوذ عليهم الشيطان فإننا نرحمهم ونرق لهم ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به .

فلنا فيهم نظران ، نظر من جهة الشرع: نؤدبهم ونمنعهم به من نشر مذهبهم ، ونظر من جهة القدر نرحمهم ونسأل الله لهم العافية ، ونحمد الله الذي عافانا من حالهم .

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام ولم يصلوا إلى غايته .

ووجه ذلك أن من لم يدخل فيه فهو في عافية ، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساده ورجع إلى الكتاب والسنة كما جرى لبعض كبارهم[١] . فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم ولم يتبين له حقيقة الأمر .

وقد نقل المؤلف رحمه الله في هذه الفتوى كثيراً من كلام من تكلم في هذا الباب من المتكلمين قال: " وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام ، ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين ومحسناً للظن بهم دون غيرهم ، ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم ، فلو أُتي بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم" . ثم قال: " **وليس كل من ذكرنا قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره ، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به**" اهـ - .

فبين رحمه الله أن الغرض من نقله بيان الحق من أي إنسان ، وإقامة الحجة على هؤلاء من كلام أئمتهم والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون
في أقسام المنحرفين عن الاستقامة
في باب الإيمان بالله واليوم الآخر

طريقة النبي ﷺ وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان على الصراط المستقيم علماً ، وعملاً يعرف ذلك من تتبعها بعلم وعدل فقد حققوا الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأقروا بأن ذلك حق على حقيقته ، وهم في عملهم مخلصون لله ، متبعون لشرعه ، فلا شرك ، ولا ابتداع ، ولا تحريف ، ولا تكذيب .

وأما المنحرفون عن طريقتهم فهم ثلاث طوائف:

أهل التخييل ، وأهل التأويل ، وأهل التجهيل .

فأما أهل التخييل: فهم الفلاسفة ، والباطنية ومن سلك سبيلهم من المتكلمين

---

(١) راجع ص ٥٤ من الباب الرابع .

وغيرهم . وحقيقة مذهبهم أن ما جاءت به الأنبياء مما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر أمثال وتخييلات لا حقيقة لها في الواقع ، وإنما المقصود بها انتفاع العامة وجمهور الناس ، لأن الناس إذا قيل لهم: إن لكم رباً عظيماً ، قادراً ، رحيماً ، قاهراً ، وأمامكم يوماً عظيماً تبعثون فيه ، وتجازون بأعمالكم ونحو ذلك استقاموا على الطريقة المطلوبة منهم ، وإن كان هذا لا حقيقة له على زعم هؤلاء .

ثم إن هؤلاء على قسمين: غلاة ، وغير غلاة .

فأما الغلاة فيزعمون أن الأنبياء لا يعلمون حقائق هذه الأمور وأن من المتفلسفة الإلهية ومَن يزعمونهم أولياء من يعلم هذه الحقائق ، فزعموا أن من الفلاسفة من هو أعلم بالله واليوم الآخر من النبيين الذين هم أعلم الناس بذلك .

وأما غير الغلاة فيزعمون أن الأنبياء يعلمون حقائق هذه الأمور ولكنهم ذكروا للناس أموراً تخييلية لا تطابق الحق لتقوم مصلحة الناس ، فزعموا أن مصلحة العباد لا تقوم إلا بهذه الطريقة التي تتضمن كذب الأنبياء في أعظم الأمور وأهمها .

فالطائفة الأولى حكمت على الرسل بالجهل . والطائفة الثانية حكمت عليهم بالخيانة والكذب .

هذا هو قول أهل التخييل فيما يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر .

أما في الأعمال فمنهم من يجعلها حقائق يؤمر بها كل أحد ، ومنهم من يجعلها تخييلات ورموزاً يؤمر بها العامة دون الخاصة فيؤولون الصلاة بمعرفة أسرارهم ، والصيام بكتمانها ، والحج بالسفر إلى شيوخهم ونحو ذلك . وهؤلاء هم الملاحدة من الإسماعيلية[1] والباطنية ونحوهم .

---

(١) الإسماعيلية: هم من فرق الباطنية ، وهو ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وكان جعفر الصادق قد نصب ابنه الأكبر إسماعيل للإمامة بعده ولكن إسماعيل هذا مات فى حياة أبيه ، وقد اختلف الناس فى شأنه فمنهم من قال: لم يمت ولكنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ! ومنهم من أقرّ بموته وهؤلاء قالوا إن الإمامة من بعد إسماعيل تنتقل إلى ابنه محمد بن إسماعيل .

وفساد قول هؤلاء معلوم بضرورة الحس ، والعقل ، والشرع فإننا نشاهد من الآيات الدالة على وجود الله وكمال صفاته ما لا يمكن حصره :

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

فإن هذه الحوادث المنتظمة لا يمكن أن تحدث إلا بمدبر حكيم قادر على كل شيء .

والإيمان باليوم الآخر دلت عليه جميع الشرائع واقتضته حكمة الله البالغة ، ولا ينكره إلا مكابر ، أو مجنون ، وأهل التخييل لا يحتاجون في الرد عليهم إلى شيء كثير ، لأن نفور الناس عنهم معلوم ظاهر .

وأما أهل التأويل : فهم المتكلمون من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم .

وحقيقة مذهبهم أن ما جاء به النبي ﷺ من نصوص الصفات لم يقصد به ظاهره ، وإنما المقصود به معان تخالفه يعلمها النبي ﷺ لكنه تركها للناس يستنتجونها بعقولهم ثم يحاولون صرف ظواهر النصوص إليها ، وغرضه بذلك امتحان عقولهم ، وكثرة الثواب بما يعانونه من محاولة صرف الكلام عن ظاهره وتنزيله على شواذ اللغة وغرائب الكلام .

وهؤلاء هم أكثر الناس اضطراباً وتناقضاً ، لأنهم ليس لهم قدم ثابت كأم هنا نقصاً يمكن تأويله وما لا يمكن ، ولا في تعيين المعنى المراد .

ثم إن غالب ما يزعمونه من المعاني يعلم من حال المتكلم وسياق كلامه أنه لم يرده في ذلك الخطاب المعين الذي أولوه .

وهؤلاء كانوا يتظاهرون بنصر السنة ويتسترون بالتنزيه ، ولكن الله تعالى : هتك أستارهم برد شبهاتهم ودحض حججهم ، فلقد تصدى شيخ الإسلام وغيره للرد عليهم أكثر من غيرهم [1] لأن الاغترار بهم أكثر من الاغترار بغيرهم لما يتظاهرون به من نصر السنة .

---

(١) انظر الرد عليهم ص ٩٢ في الباب العشرين .

فصـــل

مذهب أهل التأويل في نصوص المعاد: الإيمان بها على حقيقتها من غير تأويل ، ولما كان مذهبهم في نصوص الصفات صرفها عن حقائقها إلى معانٍ مجازية تخالف ظاهرها ، استطال عليهم أهل التخييل فألزموهم القول بتأويل نصوص المعاد كما فعلوا في نصوص الصفات . **فقال أهل التأويل لهم**: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺجاء بإثبات المعاد ، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوته .

وهذا جواب صحيح وحجة قاطعة تتضمن الدفاع عنهم في عدم تأويلهم نصوص المعاد وإلزامهم أهل التخييل أن يقولوا بإثبات المعاد وإجراء نصوصه على حقائقها ، لأنه إذا قام الدليل ، وانتفى المانع وجب ثبوت المدلول .

وقد احتج أهل السنة على أهل التأويل بهذه الحجة نفسها ليقولوا بثبوت الصفات وإجراء نصوصها على حقيقتها فقالوا لأهل التأويل: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺجاء بإثبات الصفات لله ، وقد علمنا فساد الشبهة المانعة منه فلزم القول بثبوتها ، وهذا إلزام صحيح وحجة قائمة لا محيد لأهل التأويل عنها ، فإن من منع صرف الكلام عن حقيقته في نصوص المعاد يلزمه أن يمنعه في نصوص الصفات التي هي أعظم وأكثر إثباتاً في الكتب الإلهية من إثبات المعاد ، وإن لم يفعل فقد تبين تناقضه وفساد عقله .

فصـــل

وأما أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف .

وحقيقة مذهبهم أن ما جاء به النبي ﷺ من نصوص الصفات ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها حتى النبي ﷺيتكلم بأحاديث الصفات ولا يعرف معناها .

ثم هم مع ذلك يقولون: ليس للعقل مدخل في باب الصفات .

فيلزم على قولهم أن لا يكون عند النبي ﷺوأصحابه وأئمة السلف في هذا الباب علوم عقلية ولا سمعية وهذا من أبطل الأقوال .

وطريقتهم في نصوص الصفات إمرار لفظها مع تفويض معناها ومنهم من يتناقض فيقول: تُجرى على ظاهرها مع أن لها تأويلاً يخالفه لا يعلمه إلا الله . وهذا ظاهر التناقض فإنه إذا كان المقصود بها التأويل الذي يخالف الظاهر وهو لا يعلمه إلا الله فكيف يمكن إجراؤها على ظاهرها؟

وقد قال الشيخ رحمه الله عن طريقة هؤلاء في كتاب (**العقل والنقل**) ص ١٢١ ج١ : "**فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد**" أ هـ - .

والشبهة التي احتج بها أهل التجهيل هي وقف أكثر السلف على ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧] .

وقد بنوا شبهتهم على مقدمتين:

الأولى: أن آيات الصفات من المتشابهة .

الثانية: أن التأويل المذكور في الآية: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر فتكون النتيجة أن لآيات الصفات معنى يخالف ظاهرها لا يعلمه إلا الله .

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن نسألهم ماذا يريدون بالتشابه الذي أطلقوه على آيات الصفات . أيريدون اشتباه المعنى وخفاءه ، أم يريدون اشتباه الحقيقة وخفاءها؟

فإن أرادوا المعنى الأول وهو مرادهم فليست آيات الصفات منه لأنها ظاهره المعنى ، وإن أرادوا المعنى الثاني فآيات الصفات منه لأنه لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله تعالى: . وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق التشابه على آيات الصفات بل لابد من التفصيل السابق .

الثاني: أن قولهم: " **إن التأويل المذكور في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر**" غير صحيح ، فإن هذا المعنى للتأويل اصطلاح حادث لم يعرفه العرب والصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم ، وإنما المعروف عندهم أن التأويل يراد به **معنيان**:

إما التفسير ويكون التأويل على هذا معلوماً لأولي العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " **أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله**" وعليه يحمل وقف كثير من السلف على قوله تعالى: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧] من الآية السابقة .

وإما حقيقة الشيء ومآله وعلى هذا يكون تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر غير معلوم لنا ، لأن ذلك هو الحقيقة والكيفية التي هو عليها وهو مجهول لنا كما قاله مالك وغيره في الاستواء وغيره ، وعليه يحمل وقف جمهور السلف على قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧] . من الآية السابقة .

الوجه الثالث: أن الله أنزل القرآن للتدبر ، وحثنا على تدبره كله ولم يستثن آيات الصفات ، والحث على تدبره يقتضي أنه يمكن الوصول إلى معناه وإلا لم يكن للحث على تدبره معنى ، لأن الحث على شيء لا يمكن الوصول إليه لغو من القول ينزه كلام الله وكلام رسوله ﷺ عنه ، وهذا - أعني الحث على تدبره كله من غير استثناء - يدل على أن لآيات الصفات معنى يمكن الوصول إليه بالتدبر ، وأقرب الناس إلى فهم ذلك المعنى هو النبي ﷺ وأصحابه ، لأن القرآن نزل بلغتهم ، ولأنهم أسرع الناس إلى امتثال الحث على التدبر خصوصاً فيما هو أهم مقاصد الدين .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهما كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لا يتجاوزونها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، قال: فتعلمنا القرآن ، والعلم ، والعمل جميعاً . فكيف يجوز مع هذا أن يكونوا جاهلين بمعاني نصوص

الصفات التي هي أهم شيء في الدين؟!

الرابع: إن قولهم يستلزم أن يكون الله قد أنزل في كتابه المبين ألفاظاً جوفاء لا يبين بها الحق، وإنما هي بمنزلة الحروف الهجائية والأبجدية، وهذا ينافي حكمة الله التي أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول من أجلها.

تنبيه: علم مما سبق أن معاني التأويل ثلاثة:

أحدها: التفسير وهو إيضاح المعنى وبيانه، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين ومنه قوله ﷺ لابن عباس: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**". وهذا معلوم عند العلماء في آيات الصفات وغيرها.

الثاني: الحقيقة التي يؤول الشيء إليها، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ**﴾ [سورة الأعراف: الآية ٥٣]. ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩]. فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى هو الكنه والحقيقة التي هي عليها، وهذا لا يعلمه إلا الله.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم. وهذا نوعان: صحيح وفاسد:

فالصحيح: ما دل الدليل عليه مثل تأويل قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [سورة النحل: الآية ٩٨] إلى أن المعنى إذا أردت أن تقرأ.

والفاسد: ما لا دليل عليه كتأويل استواء الله على عرشه باستيلائه ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك.

فصـــل

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "**تفسير القرآن على أربعة أوجه:**

تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه

العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، فمن ادعى علمه فهو كاذب" أه - .

فالتفسير الذي تعرفه العرب من كلامها هو تفسير مفردات اللغة كمعرفة معنى القرء ، والنمارق ، والكهف ونحوها .

والتفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته هو تفسير الآيات المكلف بها اعتقاداً ، أو عملاً كمعرفة الله بأسمائه وصفاته ، ومعرفة اليوم الآخر ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة وغيرها .

والتفسير الذي يعلمه العلماء هو ما يخفى على غيرهم مما يمكن الوصول إلى معرفته كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ ، والمنسوخ ، والعام ، والخاص ، والمحكم ، والمتشابه ، ونحو ذلك .

وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله فهو حقائق ما أخبر الله به عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، فإن هذه الأشياء نفهم معناها ، لكن لا ندرك حقيقة ما هي عليه في الواقع .

مثال ذلك: أننا نفهم معنى استواء الله على عرشه ، ولكننا لا ندرك كيفيته التي هي حقيقة ما هو عليه في الواقع . وكذلك نفهم معنى الفاكهة والعسل ، والماء ، واللبن ، وغيرها مما أخبر الله أنه في الجنة ولكن لا ندرك حقيقته في الواقع كما قال تعالى: **﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [سورة السجدة: الآية ١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء .

وبهذا تبين أن في القرآن ما لا يعلم تأويله إلا الله كحقائق أسمائه وصفاته وما أخبر الله به عن اليوم الآخر . وأما معاني هذه الأشياء فإنها معلومة لنا وإلا لما كان للخطاب بها فائدة . والله أعلم .

الباب الرابع والعشرون
في انقسام أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها

المراد بأهل القبلة من يصلي إلى القبلة وهم كل من ينتسب إلى الإسلام .

وقد انقسم أهل القبلة في آيات الصفات وأحاديثها إلى ست طوائف :

طائفتان قالوا: تُجرى على ظاهرها .

وطائفتان قالوا: تُجرى على خلاف ظاهرها .

وطائفتان واقفتان .

فالطائفتان الذين قالوا: تُجرى على ظاهرها هم:

١- طائفة المشبهة الذين جعلوها من جنس صفات المخلوقين ومذهبهم باطل أنكره عليهم السلف .

٢- طائفة السلف الذين أجروها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل ومذهبهم هو الصواب المقطوع به لدلالة الكتاب ، والسنة ، والعقل عليه دلالة ظاهرة إما قطعية ، وإما ظنية ، كما تقدم دليل وجوبها وصحتها في البابين الثالث والرابع .

والفرق بين هاتين الطائفتين ، أن الأولى تقول بالتشبيه ، والثانية تنكره .

فإن قال المشبه في علم الله ونزوله ويده مثلاً: أنا لا أعقل من العلم والنزول ، واليد إلا مثل ما يكون للمخلوقين من ذلك .

فجوابه من وجوه:

الأول: أن العقل ، والسمع قد دل كل منهما على مباينة الخالق للمخلوق في جميع صفاته ، فصفات الخالق تليق به ، وصفات المخلوق تليق به ، فمن أدلة السمع على مباينة الخالق للمخلوق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١] ومن أدلة العقل أن يقال: كيف يكون الخالق الكامل من جميع الوجوه ،

الذي الكمال من لوازم ذاته ، وهو معطي الكمال مشابهاً للمخلوق الناقص ، الذي النقص من لوازم ذاته ، وهو مفتقر إلى من يكمله؟!

الثاني: أن يقال له: ألست تعقل لله ذاتاً لا تشبه ذات المخلوقين؟

فسيقول: بلى . فيقال له: فلتعقل إذاً أن لله صفات لا تشبه صفات المخلوقين ، فإن القول في الصفات كالقول في الذات ، ومن فرق بينهما فقد تناقض .

الثالث: أن يقال: نحن نشاهد من صفات المخلوقات صفات اتفقت في أسمائها ، وتباينت في كيفيتها فليست يد الإنسان كيد الحيوان الآخر فإذا جاز اختلاف الكيفية في صفات المخلوقات مع اتحادها في الاسم فاختلاف ذلك بين صفات الخالق والمخلوق من باب أولى ، بل التباين بين صفات الخالق والمخلوق واجب كما تقدم .

وأما الطائفتان الذين قالوا: تُجرى على خلاف ظاهرها ، وأنكروا أن يكون لله صفات ثبوتية ، أو أنكروا بعض الصفات ، **أو أثبتوا الأحوال دون الصفات فهم**:

١- أهل التأويل من الجهمية وغيرهم الذين أولوا نصوص الصفات إلى معان عينوها كتأويل اليد بالنعمة ، والاستواء بالاستيلاء ونحو ذلك .

٢- **أهل التجهيل المفوضة الذين قالوا**: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات ، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالى: ، وهذا القول متناقض فإن قولهم: " **نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له**" يناقض التفويض ، لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات وهذا ظاهر .

والفرق بين هاتين الطائفتين: أن الأولى أثبتوا لنصوص الصفات معنى لكنه خلاف ظاهرها ، وأما الثانية فيفوضون ذلك إلى الله من غير إثبات معنى ، مع قولهم: **" إنه لا يراد من تلك النصوص إثبات صفة لله عز وجل"** .

وأما الطائفتان الذين توقفوا فهم:

١- طائفة جوزوا أن يكون المراد بنصوص الصفات إثبات صفة تليق بالله ، وأن لا

يكون المراد ذلك ، وهؤلاء كثير من الفقهاء وغيرهم .

٢- طائفة أعرضوا بقلوبهم وألسنتهم عن هذا كله ولم يزيدوا على قراءة القرآن والحديث .

والفرق بين هذه الطائفة والتي قبلها: أن الأولى تحكم بتجويز الأمرين: الإثبات وعدمه ، وأما الثانية ، فلا تحكم بشيء أبداً . والله أعلم .

الباب الخامس والعشرون
في ألقاب السوء التي وضعها المبتدعة على أهل السنة

من حكمة الله تعالى: أن جعل لكل نبي عدواً من المجرمين يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل بأنواع المكايد ، والشبهات ، والدعاوي الباطلة ، ليتبين بذلك الحق ، ويتضح ويعلو على الباطل ، وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه من هذا شيئاً كثيراً كما قال تعالى: ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٦]. فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي ﷺ **وأصحابه ألقاب التشنيع والسخرية**: مثل ساحر ، مجنون ، كاهن ، كذاب ، ونحو ذلك .

ولما كان أهل العلم والإيمان هو ورثة النبي ﷺ لقوا من أهل الكلام والبدع مثل ما لقيه النبي ﷺ وأصحابه من أولئك المشركين ، فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية إما لجهلهم بالحق حيث ظنوا صحة ما هم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة ، وإما لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة ، والتعصب لآرائهم مع علمهم بفسادها .

فالجهمية ومن تبعهم من المعطلة سموا أهل السنة " **مشبهة** " زعماً منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه .

والروافض سموا أهل السنة " **نواصب** " لأنهم يوالون أبا بكر وعمر كما كانوا يوالون آل النبي ﷺ والروافض تزعم أن من والى أبا بكر وعمر فقد نصب العداوة لآل

البيت ، ولذلك كانوا يقولون : " **لا ولاء إلا ببراء**" أي لا ولاية لآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر .

والقدرية النفاة قالوا: أهل السنة " **مجبرة** " لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة .

والمرجئة المانعون من الاستثناء في الإيمان يسمون أهل السنة " **شكاكاً** " لأن الإيمان عندهم هو إقرار القلب ، والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة .

وأهل الكلام والمنطق يسمون أهل السنة " **حشوية** " من الحشو وهو ما لا خير فيه ويسمونهم "**نوابت** " . وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها . ويسمونهم " **غثاء**" وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ ، لأن هؤلاء المناطقة زعموا أن من لم يحط علماً بالمنطق فليس على يقين من أمره ، بل هو من الرعاع الذين لا خير فيهم .

والحق أن هذا العلم الذي فخروا به لا يغني من الحق شيئاً كما قال الشيخ رحمه الله في كتابه " **الرد على المنطقيين** " : " **إني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد** " . أ هـ - .

الباب السادس والعشرون
في الإسلام والإيمان

الإسلام لغة: الانقياد .

وشرعاً: استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً بفعل أوامره واجتناب نواهيه فيشمل الدين كله قال الله تعالى: ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة: الآية ٣] ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩] ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥] .

وأما الإيمان فهو لغة: التصديق[1] قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا**﴾ [يوسف: ١٧] .

---

(١) للشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - تعريف آخر للإيمان في اللغة ، فقد قال في "شرح العقيدة الواسطية (٢/٢٢٩): أما الإيمان فأكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة التصديق .ولكن في هذا نظر ، لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها بنفسه ، فتقول مثلاً : صدقته ، ولا تقول: آمنته بل تقول: آمنت به ، أو: =

وفي الشرع: إقرار القلب المستلزم للقول والعمل ، فهو اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب والجوارح .

والدليل على دخول هذه الأشياء كلها في الإيمان قوله ﷺ: " **الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره**"(١) . وقوله: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** "(٢) .

فالإيمان بالله وملائكته إلخ اعتقاد القلب .

وقول: لا إله إلا الله قول اللسان .

وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح . والحياء عمل القلب .

وبذلك عرف أن الإيمان يشمل الدين كله ، وحينئذ لا فرق بينه وبين الإسلام وهذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر ، أما إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان ، وعمل الجوارح ، ويصدر من المؤمن الكامل الإيمان ، والضعيف الإيمان قال الله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٤] ومن المنافق لكن يسمى مسلماً ظاهراً ولكنه كافر باطناً .

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله ، ولا يصدر إلا من المؤمن حقاً كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا**

=آمنت له ، فلا يمكن أن تفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعدٍ ينصب المفعول به بنفسه ، ثم إن الكلمة (صدقت) لا تعطى معنى كلمة (آمنت) فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت) . ولهذا لو فسر الإيمان بالإقرار لكان أجود ، فنقول: الإيمان الإقرار ، ولا إقرار إلا بتصديق ، فتقول: أقرَّ به ، كما تقول: آمن به ، وأقرّ له ، كما تقول: آمن له ، هذا فى اللغة ، وقلت: وما قاله الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - فى معنى الإيمان فى اللغة مستفاد ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب "الإيمان" فقد أبطل شيخ الإسلام دعوى أن الإيمان فى اللغة هو التصديق من ستة عشر وجهاً ، فانظرها إن شئت .

(١) رواه مسلم فى "الإيمان" (٩٣) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

(٢) رواه البخارى فى "الإيمان" (٩) باب أمور الإيمان ، ومسلم فى "الإيمان" (١٥١) باب شعب الإيمان .

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [سورة الأنفال: الآيات٢ - ٤].

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى. فكل مؤمن مسلم ولا عكس.

فصل
في زيادة الإيمان ونقصانه

من أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [سورة الفتح: الآية ٤].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ في النساء: " **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**"[١] .

ففي الآية إثبات زيادة الإيمان، وفي الحديث إثبات نقص الدين.

وكل نص يدل على زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس، لأن الزيادة والنقص متلازمان لا يعقل أحدهما بدون الآخر.

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة ولم يعرف منهم مخالف فيه، **وجمهور السلف على ذلك قال ابن عبد البر**: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار. وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما: التوقف. والثانية: موافقة الجماعة.

وخالف في هذا الأصل طائفتان:

إحداهما: المرجئة الخالصة الذين يقولون: إن الإيمان إقرار القلب وزعموا أن إقرار القلب لا يتفاوت فالفاسق والعدل عندهم سواء في الإيمان.

الثانية: الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين أخرجوا أهل الكبائر من الإيمان وقالوا: إن الإيمان إما أن يوجد كله، وإما أن يعدم كله، ومنعوا من تفاضله.

---

(١) رواه مسلم في "الإيمان" (٢٣٧) باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات . . .

وكل من هاتين الطائفتين محجوج بالسمع والعقل .

أما السمع فقد تقدم في النصوص ما دل على إثبات زيادة الإيمان ونقصه .

وأما العقل فنقول للمرجئة: قولكم: " **إن الإيمان هو إقرار القلب ، وإقرار القلب لا يتفاوت**" ممنوع في المقدمتين جميعاً .

أما المقدمة الأولى: فتخصيصكم الإيمان بإقرار القلب مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة من دخول القول والعمل في الإيمان .

وأما المقدمة الثانية فقولكم: "**إن إقرار القلب لا يتفاوت**" مخالف للحس ، فإن من المعلوم لكل أحد أن إقرار القلب إنما يتبع العلم ولا ريب أن العلم يتفاوت بتفاوت طرقه فإن خبر الواحد لا يفيد ما يفيده خبر الاثنين وهكذا ، وما أدركه الإنسان بالخبر لا يساوي في العلم ما أدركه بالمشاهدة فاليقين درجات متفاوتة وتفاوت الناس في اليقين أمر معلوم ، بل الإنسان الواحد يجد من نفسه أنه يكون في أوقات وحالات أقوى منه يقيناً في أوقات وحالات أخرى .

ونقول: كيف يصح لعاقل أن يحكم بتساوي رجلين في الإيمان أحدهما مثابر على طاعة الله تعالى: فرضها ونفلها ، متباعد عن محارم الله وإذا بدرت منه المعصية بادر إلى الإقلاع عنها والتوبة منها ، والثاني مضيع لما أوجب الله عليه ومنهمك فيما حرم الله عليه غير أنه لم يأت ما يكفره ، كيف يتساوى هذا وهذا؟ !

وأما الوعيدية فنقول لهم: قولكم: إن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة ، فإذا تبين ذلك فكيف نحكم بتساوي رجلين في الإيمان أحدهما مقتصد فاعل للواجبات تارك للمحرمات ، والثاني ظالم لنفسه يفعل ما حرم الله عليه ، ويترك ما أوجب الله عليه من غير أن يفعل ما يكفر به؟ !

ونقول ثانياً: هب أننا أخرجنا فاعل الكبيرة من الإيمان ، فكيف يمكن أن نحكم على رجلين بتساويهما في الإيمان وأحدهما مقتصد ، والآخر سابق بالخيرات بإذن الله ؟!

فصل

ولزيادة الإيمان أسباب منها :

١ - معرفة أسماء الله وصفاته فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها ، وآثارها

ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً .

٢- النظر في آيات الله الكونية والشرعية ، فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة ، والحكمة البالغة ازداد إيماناً ويقيناً بلا ريب .

٣- فعل الطاعة ، فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته ، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة .

٤- وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون ، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر ، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم ، وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها لأن العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته .

٥- ترك المعصية خوفاً من الله عز وجل وكلما قوي الداعي إلى فعل المعصية كانت زيادة الإيمان بتركها أعظم ، لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على قوة إيمان العبد وتقديمه ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه .

وأما نقص الإيمان فله أسباب :

١- الجهل بالله تعالى : وأسمائه وصفاته .

٢- الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية ، فإن ذلك يوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه .

٣- فعل المعصية فينقص الإيمان بحسب جنسها ، وقدرها ، والتهاون بها وقوة الداعي إليها أو ضعفه .

فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر ، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم ، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة وهكذا .

وأما التهاون بها فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تعالى : شديد الخوف منه لكن فرطت منه المعصية .

وأما قوة الداعي إليها فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها ، ولذلك كان استكبار الفقير ، وزنى الشيخ أعظم إثماً من استكبار الغني ، وزنى الشاب كما في الحديث: "**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**": وذكر منهم الأشمط ؟ الزاني والعائل المستكبر(1) لقلة داعي تلك المعصية فيهما .

٤- ترك الطاعة فإن الإيمان ينقص به والنقص به على حسب تأكد الطاعة فكلما كانت الطاعة أوكد كان نقص الإيمان بتركها أعظم ، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة .

ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة على نوعين نوع يعاقب عليه وهو ترك الواجب بلا عذر . ونوع لا يعاقب عليه وهو ترك الواجب لعذر شرعي ، أو حسي ، وترك المستحب ، فالأول كترك المرأة الصلاة أيام الحيض ، والثاني كترك صلاة الضحى . والله أعلم .

فصل
في الاستثناء في الإيمان

الاستثناء في الإيمان: أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله .

وقد اختلف الناس فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: تحريم الاستثناء ، وهو قول المرجئة ، والجهمية ونحوهم .

ومأخذ هذا القول: أن الإيمان شيء واحد يعلمه الإنسان من نفسه وهو التصديق الذي في القلب ، فإذا استثنى فيه كان دليلاً على شكه ، ولذلك كانوا يسمون الذين يستثنون في الإيمان "**شكاكاً**" .

والثاني: وجوب الاستثناء ، وهذا القول له مأخذان:

١- أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه فالإنسان إنما يكون مؤمناً وكافراً بحسب الموافاة ، وهذا شيء مستقبل غير معلوم . فلا يجوز الجزم به ، وهذا مأخذ كثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم ، لكن هذا المأخذ لم يعلم أن أحداً من

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في "الكبير" (٦١١١/٢٤٦/٦) وفي "الأوسط" (١٦٦ - مجمع البحرين) وفي "الصغير" (٢١/٢) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٤٨٥٢) والحديث أصله عند مسلم .

السلف علل به وإنما كانوا يعللون بالمأخذ الثاني وهو:

٢- أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات ، وترك جميع المحظورات ، وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه ، ولو جزم لكان قد زكى نفسه وشهد لها بأنه من المتقين الأبرار ، وكان ينبغي على هذا أن يشهد لنفسه بأنه من أهل الجنة وهذه لوازم ممتنعة .

القول الثالث: التفصيل فإن كان الاستثناء صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم ، بل كفر ، لأن الإيمان جزم والشك ينافيه ، وإن كان صادراً عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً ، وعملاً واعتقاداً فهذا واجب خوفاً من هذا المحذور ، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة ، أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز .

والتعليق بالمشيئة على هذا الوجه - أعني بيان التعليل - لا ينافي تحقق المعلق فإنه قد ورد التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ**﴾ [سورة الفتح: الآية ٢٧] .

وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء بل لابد من التفصيل السابق والله أعلم . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حرر في ٨ من ذي القعدة سنة ١٣٨٠هـ - والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في الوصول إلى القمر

الحمد لله رب العالمين ، ونصلي ونسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات وقد أثار هذا النبأ تساؤلات وأخذاً ورداً بين الناس .

فمن قائل: إن هذا باطل مخالف للقرآن ، ومن قائل: إن هذا ثابت والقرآن يؤيده ، فالذين ظنوا أنه مخالف للقرآن قالوا: إن الله أخبر أن القمر في السماء فقال: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا** ﴾ [سورة الفرقان ، الآية: ٦١] . وقال: ﴿ **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا** ﴾ [سورة نوح ، الآية: ١٦] . وإذا كان القمر في السماء فإنه لا يمكن الوصول إليه ، لأن الله جعل السماء سقفاً محفوظاً ، والنبي ، ﷺ ، أشرف الخلق ومعه جبريل أشرف الملائكة وكان يستإذأ ويستفتح عند كل سماء ليلة المعراج ولا يحصل لهما دخول السماء إلا بعد أن يفتح لهما فكيف يمكن لمصنوعات البشر أن تنزل على سطح القمر وهو في السماء المحفوظة .

والذين ظنوا أن القرآن يؤيده قالوا: إن الله قال في سورة الرحمن: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** ﴾ [سورة الرحمن ، الآية: ٣٣] . والسلطان العلم وهؤلاء استطاعوا أن ينفذوا من أقطار الأرض بالعلم فكان عملهم هذا مطابقاً للقرآن وتفسيراً له .

وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه فليس في صريح القرآن ما يخالفه ، كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده .

١ - أما كون القرآن لا يخالفه فلأن القرآن كلام الله تعالى المحيط بكل شيء علماً فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون من الأمور الماضية والحاضرة ، والمستقبلة ، سواء منها ما كان من فعله ، أو من خلقه فكل ما حدث أو يحدث في السموات أو في الأرض من أمور صغيرة ، أو كبيرة ظاهرة ، أو خفية فإن الله - تعالى - عالم به ولم يحدث إلا بمشيئته وتدبيره لا جدال في ذلك .

فإذا كان كذلك فالقرآن كلامه وهو سبحانه أصدق القائلين ومن أصدق من الله قيلاً ، وكلامه أحسن الكلام وأبلغه في البيان ، ومن أحسن من الله حديثاً فلا يمكن أن يقع في كلامه الصادر عن علمه ، والبالغ في الصدق والبيان غايته لا يمكن أن يقع في كلام هذا شأنه ما يخالف الواقع المحسوس أبداً ، ولا أن يقع في المحسوس ما يخالف صريحه أبداً .

ومن فهم أن في القرآن ما يخالف الواقع ، أو أن من المحسوس ما يقع مخالفاً للقرآن ففهمه خطأ بلا ريب .

والآيات التي يظنها بعض الناس دالة على أن القمر في السماء نفسها ليس فيها التصريح بأنه مرصع في السماء نفسها التي هي السقف المحفوظ نعم ظاهر اللفظ أن القمر في السماء نفسها ، ولكن إن ثبت وصول السفن الفضائية إليه ونزولها على سطحه فإن ذلك دليل على أن القمر ليس في السماء الدنيا التي هي السقف المحفوظ وإنما هو في فلك بين السماء والأرض كما قال - تعالى - : **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** [سورة الأنبياء ، الآية: ٣٣] . وقال - تعالى - : **﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** [سورة يس ، الآية: ٤٠] . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "يدورون كما يدور المغزل في الفلكة ، وذكر الثعلبي والماوردي عن الحسن البصري أنه قال: "**الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض غير ملصقة به ولو كانت ملصقة به ما جرت**" ذكره عنهما القرطبي في تفسير سورة يس .

والقول بأن الشمس والقمر في فلك بين السماء والأرض لا ينافي ما ذكر الله من كونهما في السماء ، فإن السماء يطلق تارة على كل ما علا قال ابن قتيبة : "**كل ما علاك فهو سماء**" فيكون معنى كونهما في السماء أي في العلو أو على تقدير مضاف أي في جهة السماء .

وقد جاءت كلمة السماء في القرآن مراداً بها العلو كما في قوله تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا** ﴾ [سورة ق ، الآية : ٩] . يعني المطر ، والمطر ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض .

وإذا ثبت ما ذكروا عن سطحية القمر فإن ذلك يزيدنا معرفة في آيات الله العظيمة حيث كان هذا الجرم العظيم وما هو أكبر منه وأعظم يجري بين السماء والأرض إلى الأجل الذي عينه الله تعالى لا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر عن السير الذي قدره له العزيز العليم ، ومع ذلك فتارة يضيء كله فيكون بدراً ، وتارة يضيء بعضه فيكون قمراً أو هلالاً ذلك تقدير العزيز العليم .

وأما ما اشتهر من كون القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة فإن هذا مما تلقي عن علماء الفلك والهيئة وليس فيه حديث صحيح عن النبي ، ﷺ ، ويدل على ذلك أن ابن كثير رحمه الله مع سعة اطلاعه لما تكلم على أن الشمس في الفلك الرابع قال : "**وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه**" . اهـ - فقوله : "وليس في الشرع ما ينفيه" . واستدلاله على ثبوته بالحس دليل على أنه ليس في الشرع ما يثبته أي ما يثبت أن الشمس في الفلك الرابع والله أعلم .

٢ - وأما كون القرآن لا يدل على وصول السفن الفضائية إلى القمر فلأن الذين ظنوا ذلك استدلوا بقوله تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** ﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٣٣] . وفسروا السلطان بالعلم .

وهذا الاستدلال مردود من وجوه :

الأول: أن سياق الآية يدل على أن هذا التحدي يكون يوم القيامة ويظهر ذلك جلياً لمن قرأ هذه السورة من أولها فإن الله ذكر فيها ابتداء خلق الإنسان والجان ، وما سخر للعباد في آفاق السموات والأرض ، ثم ذكر فناء من عليها ثم قال: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية: ٣١] . وهذا الحساب ثم تحدى الجن بأنه لا مفر لهم ولا مهرب من أقطار السموات والأرض فيستطيعون الهروب ولا قدرة لهم على التناصر فينصروا وينجوا من المرهوب ، ثم أعقب ذلك بذكر الجزاء لأهل الشر بما يستحقون ، ولأهل الخير بما يؤملون ويرجون .

ولا شك أن السياق يبين المعنى ويعينه فرب كلمة أو جملة صالحة لمعنى في موضع ولا تصلح له في موضع آخر ، وأنت ترى أحياناً كلمة واحدة لها معنيان متضادان يتعين المراد منهما بواسطة السياق كما هو معروف في كلمات الأضداد في اللغة .

فلو قدر أن الآية الكريمة تصلح أن تكون في سياق ما خبراً لما سيكون في الدنيا فإنها في هذا الموضع لا تصلح له بل تتعين أن تكون للتهديد والتعجيز يوم القيامة وذلك لما سبقها ولحقها من السياق .

الثاني: أن جميع المفسرين ذكروا أنها للتهديد والتعجيز وجمهورهم على أن ذلك يوم القيامة وقد تكلم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي على هذه الآية في سورة الحجر عند قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [سورة الحجر ، الآيتان: ١٦ - ١٧] . ووصف من زعم أنها تشير إلى الوصول إلى السماء وصفه بأنه لا علم عنده بكتاب الله .

الثالث: أنه لو كان معناها الخبر عما سيحدث لكان معناها يا معشر الجن والإنس إنكم لن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إلا بعلم وهذا تحصيل حاصل فإن كل شيء لا يمكن إدراكه إلا بعلم أسباب إدراكه والقدرة على ذلك ، ثم إن هذا المعنى يسلب الآية روعتها في معناها وفي مكانها فإن الآية سبقها الإنذار البليغ بقوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية: ٣١] . وتلاها الوعيد

الشديد في قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية: ٣٥].

الرابع: أن دلالة الآية على التحدي ظاهرة جداً .

أولاً: لما سبقها ويتلوها من الآيات .

ثانياً: أن ذكر معشر الجن والإنس مجتمعين معشراً واحداً فهو قريب من مثل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ٨٨].

ثالثاً: أن قوله: ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ظاهر في التحدي خصوصاً وقد أتى ب - "إن" دون "إذا" تدل على وقوع الشرط بخلاف "إن" .

الخامس: إنه لو كان معناها الخبر لكانت تتضمن التنويه بهؤلاء والمدح لهم حيث عملوا وبحثوا فيما سخر الله لهم حتى وصلوا إلى النفوذ وفاتت النبي ، ﷺ، وأصحابه الذين هم أسرع الناس امتثالاً لما دعا إليه القرآن .

السادس: أن الآية الكريمة علقت الحكم بالجن والإنس ومن المعلوم أن الجن حين نزول القرآن كانوا يستطيعون النفوذ من أقطار الأرض إلى أقطار السماء كما حكى الله عنهم ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [سورة الجن ، الآيتان: ٨ - ٩]. فكيف يعجزهم الله بشيء كانوا يستطيعونه ، فإن قيل: إنهم كانوا لا يستطيعونه بعد بعثة النبي ، ﷺقلنا: هذا أدل على أن المراد بالآية التعجيز لا الخبر .

السابع: أن الآية علقت الحكم بالنفوذ من أقطار السموات والأرض ومن المعلوم أنهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا أن ينفذوا من أقطار السموات مهما كانت قوتهم .

الثامن: أن الآية الكريمة أعقبت بقوله - تعالى - : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية: ٣٥]. ومعناها والله أعلم انكم يا

معشر الجن والإنس لو حاولتما النفوذ من ذلك لكان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والمعروفأإن هذه الصواريخ لم يرسل عليها شواظ من نار ولا نحاس فكيف تكون هي المقصود بالآية .

التاسع : أن تفسيرهم السلطان هنا بالعلم فيه نظر فإن السلطان ما فيه سلطة للواحد على ما يريد السيطرة عليه والغلبة ويختلف باختلاف المقام فإذا كان في مقام العمل ونحوه فالمراد به القوة والقدرة ومنه قوله تعالى عن إبليس : ﴿ **إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة النحل ، الآيتان : ٩٩ - ١٠٠] . فالسلطان في هذه الآية بمعنى القدرة ولا يصح أن يكون بمعنى العلم ، ومنه السلطان المذكور في الآية التي نحن بصددها فإن النفوذ عمل يحتاج إلى قوة وقدرة والعلم وحده لا يكفي وهؤلاء لم يتوصلوا إلى ما ذكر عنهم بمجرد العلم ولكن بالعلم والقدرة والأسباب التي سخرها الله لهم ، وإذا كان السلطان في مقام المحاجة والمجادلة كان المراد به البرهان والحجة التي يخصم بها خصمه ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا** ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٦٨] . أي من حجة وبرهان ولم يأت السلطان في القرآن مراداً به مجرد العلم والاشتقاق يدل على أن المراد بالسلطان ما به سلطة للعبد وقدرة وغلبة .

فتبين بهذا أن الآية الكريمة لا يراد بها الإشارة إلى ما ذكر من السفن الفضائية وإنزالها إلى القمر وهذه الوجوه التي ذكرناها منها ما هو ظاهر ومنها ما يحتاج إلى تأمل وإنما نبهنا على ذلك خوفاً من تفسير كلام الله بما لا يراد به لأن ذلك يتضمن محذورين :

أحدهما : تحريف الكلم عن مواضعه حيث أخرج عن معناه المراد به .

الثاني : التقول على الله بلا علم حيث زعم أن الله أراد هذا المعنى مع مخالفته للسياق وقد حرم الله على عباده أن يقولوا عليه ما لا يعلمون .

بقي أن يقال : إذا صح ما ذكر من إنزال المركبة الفضائية على سطح القمر فهل بالإمكان إنزال إنسان على سطحه؟ .

فالجواب: أن ظاهر القرآن عدم إمكان ذلك وأن بني آدم لا يحيون إلاّ في الأرض يقول الله - تعالى - : ﴿ **فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٢٥]. فحصر الحياة في الأرض والموت فيها والإخراج منها ، وطريق الحصر فيها تقديم ما حقه التأخير ، ونحو هذه الآية قوله - تعالى - : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾ [سورة طه ، الآية: ٥٥]. حيث حصر ابتداء الخلق من الأرض ، وأنها هي التي نعاد فيها بعد الموت ونخرج منها يوم القيامة ، كما أن هناك آيات تدل على أن الأرض محل عيشة الإنسان ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٠]. فظاهر القرآن بلا شك يدل على أن لا حياة للإنسان إلا في هذه الأرض التي منها خلق ، وإليها يعاد ، ومنها يخرج ، فالواجب أن نأخذ بهذا الظاهر وأن لا تبعد أوهامنا في تعظيم صناعة المخلوق إلى حد نخالف به ظاهر القرآن رجماً بالغيب ، ولو فرض أن أحداً من بني آدم تمكن من النزول على سطح القمر وثبت ذلك ثبوتاً قطعياً أمكن حمل الآية على أن المراد بالحياة المذكورة الحياة المستقرة الجماعية كحياة الناس على الأرض ، وهذا مستحيل والله أعلم .

وبعد فإن البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ الناس في رده وإنكاره ، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته ، فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن ، والآخرون جعلوه مؤيداً بالقرآن فأحببت أن أكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر وعلمي المحدود .

وأسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله ، وصحبه أجمعين .

* * * * * * * * *

الفهـــرس

****